أكثر الروايات مبيعاً فى العالم

أجاثا كريستى

الليل الطويل

مكتبة النافذة

الفصل الأول

الآن بدأت نهايتي.. كثيرا ما ترامت إلى اذنى تلك العبارة. وهى على عكس العبارة التى تقول فى نهايتى بدايتى، وهى جملة فلسفية قد تعنى شيئاً عقائدياً عند اهل الإسلام الذين يؤمنون بأن فى دنو أجلهم بداية حياتهم الأبدية بل كان الفراعنة فى بلاد مصر النيل يعتقدون ذلك أيضا.

وانا الآن استعيد عبارات اهل الإسلام ولكن بمعتقدات دنيوية لا دينية كما يعتنقون، فقد قرأت اليوم إعلان لبيع قصر الأبراج على واجهة أحد المطاعم المشهورة اقصد مطعم "جورج ودراجون". وهى ابراج عريقة شاسعة المساحة، وقد تزينت صورها على جدار المطعم فبدت رائعة جميلة رغم عمرها الزمنى الطويل.

كنت اثناء ذلك اخطو فى شوارع المدينة أينما تقودنى خطواتى دون قصد او هدف وقد وجدتنى فى الشارع الرئيسى لمدينة كنجستون بيشوب. سألت نفسى لماذا جئت إلى هنا ؟ اهى لعبة من ألعاب القدر ؟ وهل الحظ سوف يبتسم لى أخيرا؟ ما يدرينى لعل ترجلى إلى هنا بداية نهايتى.. ربما.. ربما يكون ذلك واتمنى ان يكون ذلك. فقد كنت احلم ببناء بيت جميل على اعلى طراز يشار له بالبنان .. بيت يضم معى فتاة احبها وتحبنى اقضى معها فيه ما تبقى لى من عمر.. إذن ها هى الفرصة قد لاحت وانت وجاءت لى على ركبتيها وينبغى لى ان التقطها وانتهزها.

وها هى ليللى التى اراها تقف بين الأشجار فى أراضى الغجر . نعم اراضى الغجر وحرى بى ان ابدا قصتى من هنا .. من هذه اللحظة من هذا المكان الذى وجدت فيه رجلاً كان مشغولاً فى تهذيب بعض النباتات وقد سألته

ما شكل هذا البيت المعروف "بقصر الأبراج"

وفى غير اهتمام اجابنى الرجل .. إننا لم نعد نعرفه بهذا الاسم فهو اسم على غير مسمى الآن .. واستطرد الرجل يقول فى ضيق ..إن اصحابه هم الذين كانوا يطلقون عليه هذا الاسم اما نحن فلا؟ وبادرت أساله مرة اخرى .. وماذا تطلقون عليه الآن يا سيدى؟ واستدار الرجل الجلف بعيدا عنى كعادة اهل الريف وهو يقول :

- إننا نسمى هذا القصر هنا باراضى الغجر .

- ولماذا اطلقتم عليه هذا الاسم الغريب ؟

- إن لهذا الأمر قصة لا ادرى بدايتها فالبعض يردد حكاية والآخر يذكر عكسها ولكنى استطيع ان اذكر لك ان الحوادث تقع دائماً فى هذا المكان .

- اتعنى حوادث سيارات ..؟!

- كلا .. بل جميع انواع الحوادث .. وخاصة السيارات فهذا مكان مقرز كما ترى .

- حسناً .. فما دام هذا المكان مشئوما حقاً، فإننى اتفهم لماذا تقع فيه حوادث كثيرة .

- إن المجلس القروى هنا وضع لافتات إرشادية للمواطنين لمنع وقوع الحوادث ورغم ذلك فإنّ الحوادث تقع هنا كل يوم .

- ولكن لماذا الغجر بالذات ..؟!

اجاب فى هدوء متظاهرا بعدم الاكتراث .. هذه قصة اخرى .. فقد كانت هذه الأراضى ملكاً للغجر فيما سبق ولكن السلطات القديمة ابعدتها عنها بقوة السلاح فصب الغجر لعناتهم عليها .

وضحكت بصوت عالٍ حتى وكأننى اسخر مما يقول وقد بدت على وجهه ملامح الاشمئزاز مما اصنع وراح يؤكد لى قوله فى حزم .

- اضحك ما شئت لكن عليك ان تعرف ان هناك مناطق اصابتها اللعنة فعلاً .. وانتم يا اهل المدن لا تؤمنون بذلك فصدقنى يا ولدى فإن هناك اماكن ملعونة، كما ان هناك اماكن مباركة وبعض الناس لقوا مصرعهم هنا فى هذا المحجر اثناء قيامهم باستخراج أحجار البناء .. هل تعرف أن جوردى العجوز وقع فى الحفرة بعد ان زلت قدماه؟

- ولكن لعله كان مخمورا..

- ربما .. فقد كان بالفعل مدمناً للخمور .. لكن هناك مخمورون كثيرون يقعون ولا يصيبهم مكروها، واما جوردى فقد لقى حتفه على الفور، والتفت ناحية الهضبة التى تظللت بالأشجار، وهو يشير بيديه هناك فى اراضى الغجر .

اظن ان القصة بدأت من هنا، وإن كنت لم التفت لكلمات هذا الرجل وقد سألت الرجل هل لا يزال هناك بعض الغجر؟ فاكد لى ان قليل منهم هو الذى بقى فى هذا المكان والبوليس يتربص بهم دائما واذكر انى سألته ولماذا يكره الناس الغجر ..؟!

- اعتقد أن ذلك مرجعه أن الغجر هم عصابات إجرامية من اللصوص

وكان غريباً أن يتفحص وجهى فى لحظات قصيرة وهو يقول فى ثقة

- اعتقد يا بنى أن دماء الغجر تجرى فى عروقك .

- انا لا اظن ذلك وإن كنت ابدو للناس كما لو كنت حقا من احد ابناء الغجر ولا ادرى لماذا سعدت بكلمات الرجل وقد حدثت نفسى هل صحيح أن دماء الغجر تسرى فى دمائى ؟ الغريب اننى احببت ذلك ولم ابغضه، لماذا؟ انا لا اعرف ..

واستأذنت بالانصراف وتركت الرجل يستكمل تهذيب النباتات وقد سلكت طريقا منحنيا يصل إلى خارج المدينة حتى بلغت قمة التل ووقفت عليها فرأيت البحر والسفن وكأنها لوحة رسمها فنان منذ ثوان وتحدثت لنفسى قائلا : "ماذا لو أصبحت أراضى الغجر ملكا لى ..؟!" أعرف أنه هاجس سخيف ولكن ما يمنعنى من أن أحلم كما يحلم غيرى . وعدت أدراجى من نفس الطريق فوجدت الرجل لا يزال يعمل فى الحقل وقد بادر بالقول ناحيتى :

- إذا أردت أن تتحدث مع بعض الغجر فإن مسز لى تقيم هناك فى كوخ منحه لها الميجور .

فسألته.. ومن يكون هذا الميجور؟

فرمقنى بنظرة تدل على جهلى وهو يقول متعجبا .

- الميجور فيليبوت طبعا.

فادركت بالطبع أن الميجور فيليبوت هذا هو إله القرية وولى نعمتها ويبدو أنه يعيش هو وأسرته فى هذه المنطقة منذ أمد بعيد وأنهم يعملون على توفير أسباب الراحة والعيش لهذه القرية الفقيرة .

وانصرفت بعد أن حييت الرجل العجوز قاصدا كوخ مسز لى وقد قال الرجل بصوت عال غليظ كعادة أهل الريف .

- مسز لى تقيم فى آخر كوخ عند آخر الشارع وإذا لم تجدها فى الكوخ فهى فى الشارع حيث إن دماء الغجر تجرى فى عروقها وهى لا تحب البقاء فى الكوخ .

وانطلقت ناحيتها وأنا أتمنى وأفكر فى أراضى الغجر غير عابئ بما سمعت فإذا بامرأة طويلة القامة ذات شعر كالح السواد تحدق فى وجهى وتعترض طريقى ففهمت أنها مسز لى فتوقفت أمامها سائلتها :

- هل أنت مسز لى ..؟

- نعم، ماذا تريد يا فتى ؟

- علمت أنك تعرفين الكثير عن أراضى الغجر .

نظرت لى من خلال شعرها الأسود الذى تدلت خصلاته على عينيها وهى تقول :

- وماذا تريد منها ؟ ابتعد عنها .. لا شأن لك بها يا فتى .

- لكنى عرفت أنها معروضة للبيع فى أحد المزادات .

- نعم .. وإن الذى سيقوم بشرائها هو جاهل أحمق .

- ومن يكون هذا الجاهل الأحمق ..؟!

- أشخاص كثيرون يريدون أن يقيموا المبانى فوقها وسوف تباع بثمن ضئيل جدا وسترى .

- ولكن لماذا تباع بثمن بخس يا مسز لى فهى أراضى جميلة ورائعة .

ولم تجب على سؤالى وقد تظاهرت بالملل فى الحديث معى فعدت أسألها .

- لنفترض أن بعضهم اشتراها بثمن بخس فما ذا سيصنع بها .. ؟!

فابتسمت بدهاء الغجر وهى تقول :

- سوف يهدمون البيت القديم ويعملون على إعادة بنائه من جديد بالطبع وأظن أنهم سوف يبنون بيوتاً كثيرة فوق هذه الأراضى ولكن مهما كان شأنهم فسوف تحل عليهم اللعنة هنا. وتظاهرت بعدم سماعى كلماتها الأخيرة، وأنا أقول :

- سيكون ذلك عاراً .. بل عار كبير ..

- لا داعي لأن تتضايق أو تقلق فلن يصيب أحد أذى إلا الذين سيشترونها فقط كما سيصاب، هؤلاء العمال المساكين الذين سيتعرضون لعواصف ورياح عاتية ستقلع أدواتهم الخشبية والخرسانية وسوف يلقون حتفهم أثناء عملهم سترى يا بني .. فمن الأفضل ألا يقترب منها أحد من الأفضل إيثارا للسلامة.

وأومأت برأسها في ثقة وهي تقول:

- سوف يتعرضون لخسارة فادحة في الأرواح والأموال ولن يربحوا منها شيئاً.

فضحكت في بلاهة .. حتى أنهي لاحظت ضيقها من سلوكي الشاذ فقالت في حدة وعنف:

- لا تضحك يا فتى فقد تأتي ساعة لا ينفعك فيها الضحك .. صدقني يا ولدي لا خير في البيت أو في الأراضي لا خيرا أبدا.

فعدت أسألها في فضول ..

- ما الذي حدث للبيت يا مسز لي ؟ ولماذا ظل خاليا من السكان كل هذه المدة ؟ ثم .. ثم لماذا تركوه أصحابه هكذا حتى تداعت أحجاره ؟

فأجابت في أسى وحزن :

- إن أصحابه ماتوا جميعا ..

فسألتها مرة أخرى ..

- ولكن كيف ماتوا ..!؟

- أرى من الخير لك ألا تتطرق لهذا الموضوع ثانية فعلى كل حال فإن أحدا لم يهتم بالمجيء إلى هنا أو الإقامة فيه فصار أطلالا وخرابا كما ترى ولقد سقط من ذاكرة الجميع ومن الخير أن ينساه الجميع.

فقلت في لهفة .

- ولكنك تعرفين كل شيء عنه .. فلماذا تبخلي عليّ بأية معلومات حول هذا المكان.

- بصراحة .. أنا لا أحب أن أتحدث عن أراضي الغجر .

ثم عادت تتحدث بصوت هامس غير مسموع .. فطلبت منها أن ترفع من صوتها حتى أتمكن من سماعها فقالت:

- أرغب في قراءة طالعك أيها الشاب الوسيم وعليك أن تضع قطعة من النقود الحقيقية في يدي فأنت أحد هؤلاء الذين سيشتهرون فيما بعد .

- فقلت : الواقع يا مسز لي إنني لا أؤمن بهذه الخرافات ثم إنني لا أحمل في ملابسي أي قطعة من النقود الفضية .

فاقتربت مني كمتسولة وهي تقول :

- سأقرأ لك حظك بستة سنتات فقط إنه مبلغ ضئيل وضئيل جدا فأنت شاب وسيم طلق اللسان ذكي وقد يكون لك شأن في يوم ما بل سيكون شأن كبير .

ورضخت لها فأخرجت من جيبي قطعة نقدية بست سنتات ولم يكن رضوخي لها إيماناً بما تقول بل إعجاباً بما تصطنعه من حيلة ودهاء وأعطيتها السنتات فخطفتها مني وهي تقول :

- والآن هات يديك الاثنين .

وخطفت يدي بين أصابعها ونظرت إلى راحتها لحظات وقد تحلت بالصمت عدة دقائق وهي تحدق فيهما ثم دفعت بهما وهي تقول بعد أن تراجعت عدة خطوات إلى الوراء .

- أرى يا ولدي أن تبعد عن هنا وألا تعود أبدا .. صدقني هذه نصيحة مخلصة .. أرجوك استجب لي وارحل من هنا فورا ولا تعد..

- لكن .. لماذا لا اعود ؟

- لأن عودتك ستجلب لك الأحزان والهموم بل والمخاطر سوف تحاصرك من كل جانب .. صدقنى أيها الفتى الوسيم ان متاعب سوداء تنتظرك هنا .. ابعد فورا .. ابعد عن هنا .

- ولكن ..

ولم تدعنى أتحدث فقد استدارت بوجهها بعيدا عنى وأعطتنى ظهرها وانطلقت إلى كوخها واغلقت بابها بقوة ولكنى لا أؤمن بالخرافات وان كنت شديد الإيمان بالحظ ثم من هذا الذى لا يؤمن بالحظ ولكن شيئا غريبا جعلنى لأول مرة أشعر بان هذه المرأة صادقة فيما تقول فيبدو انها قد رأت فى راحة يدى شيئا خطيرا وكيف يمكن للمرء قراءة الغيب فى أيادى الناس ؟ إن هذا امر مؤلم وسخيف وهو أداة سهلة لابتزاز النقود بكل سذاجة ورفعت بصرى إلى عنان السماء فلاحظت أن الشمس قد اختفت وراء الأفق وبدا اليوم يختلف عما كان منذ قليل فالرهبة تحيط بالمكان وكان هناك عاصفة تستعد لزيارة المكان فها هى الرياح بدأت تتحرك وأوراق الأشجار راحت تهتز والخوف قد تملكنى فقصدت الانطلاق إلى القرية .

وعدت أنظر إلى إعلان المزاد ودققت النظر فى تاريخ الإعلان صحيح أننى لم اشترك فى أى مزاد من قبل لكننى أريد أن أعرف من الذى سيرسى عليه مزاد الأبراج ويصبح مالكا لأراضى الغجر . من هنا بدأت القصة وخطر فى بالى هاجس غريب ماذا لو أننى حضرت هذا المزاد وتظاهرت باننى أحد المنافسين فى الشراء .. إن خيبة أملهم فى شرائها بثمن ضئيل ستكون كبيرة عليهم .. وماذا لو ذهبت الآن إلى رودلف سانتوينكس لأطلب منه أن يبنى لى هذا القصر فقد اشتريت الموقع الآن فمن المؤكد أننى سوف أجد فتاة عندئذ .. فتاة تكون زوجة لى تعيش معى هنا فى سعادة وسرور إلى الأبد .

لقد كانت هذه هى أحلامى منذ صغرى وهى أحلام صعبة المنال بالطبع لكنها لذيذة نعم لذيذة .. يا إلهى .. آه .. آه لو أننى أعرف .

الفصل الثانى

ذهبت إلى أراضى الغجر مصادفة دون قصد منى حيث كنت أقود سيارة أجرة ركبها زوجان إلى خارج لندن لحضور أحد المزادات. ولم يكن المزاد مطروحا لبيع أراضى أو عقارات ولكن كان مطروحا فيه بيع مفروشات ومنقولات وأثاث وكان البيت الذى يبيع هذه المنقولات من أكبر البيوت يقع فى أطراف المدينة وفى أقذر أماكنها .

اما الزوجان كانا كبيران فى السن وقد دار حديثهما عن الأوانى المصنوعة من الورق المضغوط وإن كنت لا أعرف معنى الورق المضغوط فلم يسبق لى سماع هذه الكلمات من قبل .. آه .. لقد سمعتها ذات مرة من إحدى جاراتنا فقد قالت لأمى أن الأوانى المصنوعة من الورق المضغوط أجود كثيرا من أى أشياء أخرى مصنوعة بورق مضغوط .. ولكن أليس هذا أمرا غريبا أن يرحل زوجان من بلدهما لشراء مجموعة من هذه الأوانى . ورحت أبحث وأفتش فى القواميس عن معنى هذه الكلمة التى دفعت بالزوجين لهذا المكان وهذه عادتى دائماً البحث عما لا أعرفه وأسمع عنه .

كنت فى الثانية والعشرين من العمر .. وقد تمكنت من جمع معلومات كثيرة عن السيارات كنت ميكانيكياً ماهرا .. وسائقاً لا يشق له غبار وأذكر أننى اشتغلت ذات مرة فى اصطبلات الخيول وتورطت مع إحدى عصابات المخدرات فى أيرلندا ولكننى أدركت خطئى فقطعت علاقاتى بها فى الوقت الملائم .. والآن أنا أعمل سائقاً فى إحدى الشركات الكبرى من شركات سيارات الأجرة وهو عمل لطيف غير شاق .. يمكننى أن أجمع من خلاله ثروة لا بأس بها من الهبات و العطايا .

ثم أذكر أيضاً أننى عملت مرة فى جمع الثمار فى الصيف ولكن بأجر زهيد وإن كنت أحببت ذلك أيضا .. كما عملت ساقيا فى أحد فنادق الدرجة الثالثة .. وغطاساً فى أحد الشواطئ وكنت مندوبا لإحدى دور النشر لبيع دوائر المعارف ومندوباً لشركات التأمين ومندوبا لشركات

النظافة بل اشتغلت بستانياً ذات مرة وعرفت بعضا من المعلومات عن الأزهار والورود .

هكذا كنت لا استطيع البقاء فى عمل لفترة طويلة فانا لست كسولا بطبعى وإن كنت أصاب بالملل لا اهوى الاستقرار، فانا فضولى أحب البحث عما هو جديد فى اى مكان .. نعم انا كذلك .

فمنذ ان تركت الدراسة وانا ابحث عن شىء ما لا اعرف ما هو كنت ابحث عنه فى غموض وبوسائل غير مستحبة ابحث عن شىء كنت أريد معرفته الآن او بعد ذلك هل كنت افتش عن فتاة احبها وتحبنى .. نعم أنا احب الفتيات ولكن الغريب اننى لم اتق بفتاة تجذب انتباهى وتشد اهتمامى .. كنت اعرف واحدة وانصرف إلى اخرى غيرها .. وانا سعيد فلم أكن قد ارتبطت بعلاقة حب مع اى فتاة .. صحيح استنكر البعض هذه الطريقة واعنى بهؤلاء الذين كانوا يحبوننى ويريدون لى الخير وبالطبع فقد ضايقتهم طريقتى فى الحياة لأنهم لم يفهموننى إطلاقا .. هم يريدون ان ارتبط بفتاة جميلة واحدة واستقر معها وأن ادخر بعضا من الأموال للزواج مع استقرارى فى وظيفة دائمة .. وهكذا كانوا يريدون منى أن أكون روتينياً اعتاد على هذا البرنامج اليومى الذى لا يتغير ابدا .. والواقع اننى متمرد على هذا النظام ولا اطيقه .. فنحن نعيش فى عصر الفضائيات والصواريخ والأقمار الصناعية فكيف لى ان اعيش فى ظلها كعقرب الساعة لا ينتهى دورانه.

وانا احب البحث عن كل ما هو جديد فى واجهات المحلات بشوارع لندن خاصة محلات الأحذية الأنيقة وصور الموديلات الرائعة وانا كعادتى احب شراء الملابس الفاخرة بكافة انواعها . وكثيرا ما اذهب إلى متاحف ومعارض فنية تضم لوحات عريقة لمشاهير الفنانين . وان كنت لا أرغب فى اقتناء هذه اللوحات مهما كانت قيمتها الفنية والنقدية ثم لماذا اقتنى لوحة فنية وانا لا افهم ماذا تعنى خاصة هذه اللوحات السريالية المليئة بالخطوط

والألوان التى لا تحمل معانى واضحة للرائين ثم إننى لم أعتد على شراء هذه اللوحات .. ولكن ما المانع فى شراء لوحة فنية مثل هؤلاء الاغنياء المجانين ولماذا لا اكون مجنونا مثلهم ووقع بصرى على احد المعارض الفنية وقصدته متظاهرا بمعرفتى فى اصول هذه اللوحات وفى ادب جم وتواضع شديد احضر لى مدير المعرض لوحة فنية رائعة حدقت فيها مليا وسرحت طويلا وانا اظن ان سعرها لا يتجاوز خمسة وعشرون جنيها. فهذا ما أرى انها تستحقه فهى رائعة وحين سألت صاحب المعرض عن ثمنها بعد أن عزمت على اقتنائها اجابنى فى هدوء وثقة اعتاد عليها فى مثل هذه المواقف ان سعرها خمسة وعشرون الف من الجنيهات. وذكر اسم فنان اجنبى وانها كانت ضمن مقتنيات احد القصور العريقة فى إحدى ضواحى البيوت الريفية وظهرت على وجهى ملامح الدهشة من هول الرقم الذى ذكره الرجل الذى أدرك بفراسته إفلاسى وقلت له إنها حقا رائعة وتستحق ان تباع بهذا الثمن الكبير واجابنى فى أدب شكرته عليه ..

- انت تفهم فى اللوحات الفنية ولديك ذوق عال. وأخذها منى ووضعها فى مكانها حيث ادرك مشقتى فى شرائها .. وإن كنت قد شعرت أن هذه اللوحة قد جذبتنى بالفعل عن غيرها ولكن ما عساى أن افعل فمن لين لى بهذا المبلغ الضخم.

الفصل الثالث

انا لست بارعا فى تسجيل احداث حياتى مثل غيرى . لعل روايتى لقصة هذه اللوحة لم اكن فى حاجة إلى سردها عليكم ثم اننى لم اذكر شيئا عن سانتونيكس حتى الآن صحيح هو مهندس معمارى. وقد قابلته اثناء عملى فى شركة سيارات الأجرة وكنت فى ذلك الوقت اقضى زمنا طويلاً مع الأثرياء الذين يرغبون فى السفر والترحال إلى بقاع الدنيا واذكر اننى قد ذهبت مرتين إلى المانيا، ومن خلالها تعلمت قليلا من اللغة الالمانية .

كما ذهبت إلى البرتغال وفرنسا. وكانت اغلب زياراتى من الاثرياء الذين تقدمت بهم السن وحين يختلط المرء مع هؤلاء القوم يدرك على الفور ان المال ليس هو كل شيء فى هذه الدنيا فهم كثيرو الشكوى والصراخ بل ويتعاطون العقاقير والأدوية المهدئة من وقت لآخر للتخلص من متاعبهم النفسية بسبب اعمالهم وتكدس اموالهم .

نعم كان هؤلاء الأثرياء بائيسن حقا .. من ادارات الجمارك و الضرائب وباقى الدواوين الحكومية التى تلاحقهم وتطاردهم وكانوا يشعرون بالملل والضيق من حياتهم .. وكنت ارى ان حياتهم الجنسية باردة تخلو من الاثارة والدفء فقد تزوجوا من فتيات صغيرات فاتنات جميلات يمتلئن بالحيوية والتشوق الحار إلى ممارسة الجنس مثل اصدقائهم ومنهم من تزوج من امرأة دميمة أحالت حياته إلى جحيم لا يطاق . وهو ما جعلنى أشعر باننى اسعد الناس لكن عندى رغبة ملحة فى رؤية بلدان العالم .

المهم .. اننى تعودت على ان اقود سيارتى لخدمة رجل طاعن فى السن إلى شواطئ الريفيرا من وقت لآخر . وكان يذهب إلى هناك لمتابعة سير اعمال شركاته وكان سانتونيكس هو المهندس المعمارى الذى يتولى بناء احد بيوته وان كنت اجهل هوية وجنسية سانتونيكس وان كنت قد ظننت انه فى بادئ الأمر انه إنجليزى على الرغم من غرابة اسمه. ثم ظننت انه من

اهل اسكندنافيا .. وكان مريضاً صحيح كان شاباً وسيماً جذاباً نحيل الجسد له قسمات وجه غريبة . حاد الطباع كثير الانفعال .. يقولون عنه انه ذئب نمرود لكنه كان عبقرياً واثقاً فى نفسه معتزاً بذكائه .

وقد شاهدت بنفسى مناقشة حامية بينه وبين الرجل العجوز الذى كنت اصطحبه فى سيارتى وجه دارت على هذا النحو بعد أن انفعل العجوز فى المهندس المعمارى المسئول عن بناء بيته .

- إنك لم تنفذ ما ارغب فيه .. وقد انفقت مالاً كثيراً على غير ما توقعت دون أن تنجز شيئاً يستحق النظر إليه .

- فاجابه سانتونيكس .. انت على حق يا سيدى .. ولكن ما فائدة المال إن لم ننفقه فى بناء بيت جميل على احدث طراز .

- المطلوب منك ان تفهم حدود عملك لا شأن لك بأموالى فأنا لن اعطيك بنساً واحداً وسالتزم معك بالاتفاق الذى وقعنا بنوده معاً .

- فقال سانتونيكس .. انا اعرف ماذا تقصد ولذلك فانت لن تتسلم البيت الذى تريده، إن البيت الذى ابنيه هو ما تتمناه، وانا اعرف ماذا أقول وارجوك الا تصدع راسى بدروس الوعظ عن التبذير والبذخ، انت ترغب فى بيت جميل فريد من نوعه تتفاخر به بين اصدقائك وانا اعدك ان بيتك هذا سيكون مفخرة لك ولن يقدر بمال ولا مجال بمقارنته ببيت اخر .

- ولكن الأموال كادت تنفذ فى بناءه .

- انا اعرف ذوقك واعلم ما تريد .. انت تريد بيتاً فخماً بأقل التكاليف وهذا شاق وعسيراً ارجوك لا تفكر بهذه الطريقة .

والحقيقة ان القصر كان يبدو لى انه سيكون جميلاً فهو يقع بين اشجار الصنوبر على حافة البحر وعلى منحنى قريب من قمة الجبل وقد توقعت ان يكون قصراً رائعاً لا نظير له يثير الاهتمام .

واثناء حديث سانتونيكس كنت اقف على بعد خطوات منه وقد انصرف من أمام الرجل العجوز وتقدم نحوى بخطوات وهو يقول :

- إننى اختار زبائنى لبناء بيوتهم.

- فقلت له : تقصد الأثرياء فقط .

- نعم فالأثرياء يملكون المال للإنفاق على تشييدها وإن كنت لا ابالى بما يعود على من ارباح ومكاسب والواقع أننى لا ابنى سوى القصور فقط التى لها طراز خاص بها وانا اتعمد دائما ان تكون تلك القصور فى اماكن جميلة تبدو كالجوهرة، وإلا فما فائدتها إذا كانت ذات طبيعة قبيحة ونظر إلىَ وهو يقول فى ثقة .. هل تفهم ما اريد أن اوضحه لك .

- فأجبت.. لا اظن .. وإن كنت اشعر بأننى فاهم لما تقول .

وفى مرة أخرى عدت لهذا القصر فوجدته قد ارتفع ولن استطيع أن اصفه فهو اكثر من رائع بل هو اجمل القصور التى رأيتها طيلة حياتى . نعم كان بيتاً يدل على الجمال والروعة ويدل على صدق ما كان يردده المهندس العبقرى وكان من حق صاحبه ان يتفاخر به هو واسرته أمام اصدقائه فهو قصر لا نظير له فى الوجود وامامى إعجابى ودهشتى من مفاتن هذا القصر العجيب . قال لى سانتونيكس المهندس العبقرى .. إننى استطيع ان ابنى لك بيتاً آخر فانا اعرف شكل البيت الذى ترغب فى بناءه .

فاجبت عليه بائساً .. انا نفسى لا اعرف ماذا يكون بيتى الذى اريد بناءه.

- ولكننى اعرف ما تريد حتى لو لم تكن انت تعرف ولكن للأسف إنك مفلس لا تملك مالاً لبناء بيت تريده وتتمناه .

- هذا حلم لن يتحقق لى ابدا .

- من يدرى ؟ فمن يولد فقيرا لا يظل على حاله والمال أمره يدعو للغرابة فهو يذهب لمن يريده

- لكن انا غير محظوظ او موهوب للحصول عليه .

- كلا .. انت لست طموح وربما الطموح راقد فى عقلك لم يستيقظ بعد

- فقلت ، اوه.. ربما فحين يستيقظ طموحى واحصل على الثروة الطائلة فسوف الجا إليك .

- وزفر سانتونيكس وهو يقول ، لا استطيع الانتظار فانا لن اعيش طويلاً .

- إذن انت تريد منى ان اوقظ طموحى النائم فورا .

- كلا .. انت تتمتع بحياة هادئة لا تتركها ودعك من هذه الأحلام .

نعم اصاب المهندس بما يدور فى خلدى، فانا دائماً اكره جمع الأموال فقد وجدت تعاسة مرسومة ومنحوتة على وجود الأغنياء رغم مظاهرهم الخادعة بل لاحظت ان اغلبهم يصاب بأمراض خطيرة أما انا فانمتع بصحة جيدة وابحث عن عمل هادئ غير شاق كى استمتع بما تبقى لى من عمر فى هذه الحياة . ولكن سانتونيكس هذا رجل طموح فهو دائم البحث عن خرائط ورسومات جديدة ولا يمل من الوصول إليها وقد اعتصر نفسه واكتوى بطموحاته واختزل شبابه فى البحث عن اموال كثيرة.

لقد حيرنى هذا المهندس كثيرا وقد فكرت فى شأنه مرات عديدة، كما تذكرت اللوحة الفنية والفتيات اللاتى عرفتهن وهن كثيرات .

كما تذكرت وجوه الأثرياء الذين رافقتهم وهى وجوه كئيبة وتشابهت مع بعضها .. إنهم ينزلون فى نفس الفنادق ويتناولون نفس الوجبات والمشروبات، وانا لا ازال انتظر شيئاً سيحل بى لا ادرى ما هو لكن إحساس غريب يتملكنى نحوه .. اعنى الفتاة المناسبة التى ستكون زوجة لى واليفتى فى الحياة فتاة من طراز امى او عمتى جوزيا او بعض أصدقائها، وانا

لم اكن عرفت شيئاً عن الحب ولم انا ان اعايشه مع اى فتاة وربما كان هذا شان كل ابناء جيلى من الشباب الذين يطمعون فى فتيات جميلات لمطارحتهن الغرام ثم التخلى عنهن للعيش مع.

ولم يخطر لى ان احب حباً حقيقياً صحيح هو يظهر فجاة دون موعد سابق وان كنت انتظر وابحث عنه وافتش عن فتاة تبادلنى لياد . ولكن لن هو ولن يكون ومع من ؟ ثم متى سارى هذه الفتاة التى اشتقت إليها طويلا ولم اجدها ؟ متى ستاتى؟

الفصل الرابع

كنت دائما اضع في خطتي المستقبلية تاريخ هذا المزاد وقد كان امامي متسعاً من الوقت دفعني للقيام برحلتين الأولى إلى فرنسا والثانية إلى المانيا وفي الأخيرة كنت اشعر بكراهية شديدة إزاء الرجل الذي كنت أنقله هو وزوجته . نعم .. رأيتهما في عيناي دميمين وقحين. متهورين وشعرت انني لا ارغب في البقاء معهما كعادتي مع جميع من اتولى نقلهم داخل اوروبا إلا انني رفضت الإفصاح عن مشاعري وتظاهرت بالارتياح لهما فلم يكن هناك سبباً منطقياً لإثارة خلاف معهما يترتب عليه أضرار سلبية مع شركتي، ولذلك اتصلت بالفندق الذي سيقيمان فيه وابلغت ادارته انني متوعك ثم ابرقت إلى لندن بذلك ايضاً . وزعمت في برقيتي انني قد أظل طريح فراش المستشفى لعدة أيام قادمة وان من الأفضل أن يرسلوا سائق اخر بدلاً مني .. وإن كنت أعرف انني لست بهذه الأهمية التي تستحق عناء أحد كي يسأل عني ويستفسر عن أحوال صحتي وقد يكون عدم اكتراث الإدارة بشخصي هو ما دفعني للتمرد على هذه المهنة القذرة التي كرهتها وسئمتها .

لا اعرف هل كان سبباً كافياً لهذا التمرد وهذه الثورة الداخلية التي اشتعلت جذوتها في نفسي ام أن ذلك كان مبررا للحاق بصالة المزاد وبالفعل ذهبت إلى الموعد المحدد للمزاد ووصلت إلى هناك لأجد عبارة غريبة أضيفت إلى الإعلان القديم تقول ؛ (ما لم تكن قد بيعت باتفاق خاص) لقد كانت جملة حقيرة تدل على خبايا واسرار هذه المزادات ومؤامراتها التي تتم سرا بين هؤلاء المحترفين.. اللعنة لو تم ذلك من خلف ظهري لقد كنت ثائرا مضطرباً لا اعرف لماذا ..؟ والغريب انه لم يسبق لي الاشتراك في اي مزاد من قبل فلماذا كل هذا الانفعال والاهتمام هذه المرة؟ وبدأت الجلسة هادئة وقد حضرها نحو سبعة أشخاص فقط كانوا يتسمون بالمرح وخفة الدم وروح الدعابة على غير عادة اهل المزادات الأخرى الخاصة بالمفروشات والأثاثات وبدا

السجال وسرعان ما انتهى دون نتيجة حاسمة حيث كانت الأسعار بخسة جداً مما دفع أصحاب المزاد إلى فضه مبكرا لعدم الوصول إلى الرقم المطلوب للبيع . كان الحاضرون بعضهم من رجال القانون وأحدهم يبدو لى من مظهره أنه مزارع وآخر أتصور أنه يعمل فى مجال البناء وواحد آخر كان ملبسه وأناقته تدل على أنه رجل أعمال .

وبعد أن انفض سامر المزاد تحدثت مع أحد القرويين الذى كان يقف بجوارى بدأت كلامى معه كما يلى :

- ألا ترى أنها كانت جلسة هادئة ومملة وتخلو من الإثارة ؟

- فأجابنى فى هدوء أيضاً . هل سبق لك حضور مزادات قبل ذلك ؟

- فقلت له .. كلا هذه أول مرة أحضر فيها مزاد .

- فأجاب .. إذن يخيل لى أنك حضرت بدافع الفضول (فأنا لاحظت أنك لم تشترك فى الجلسة وكنت تلوذ بالصمت مكتفياً به) .

- أجبت .. نعم فقد أردت أن أعرف كيف تسير هذه المزادات .

- فقال .. كما ترى تبدأ بجس النبض دائماً ..

فنظرت إليه وكأنى أريد أن أفهم ما يقول حتى استطرد قائلا :

- هناك ثلاثة يهتمون بهذا الأمر - ويزرى من هلمنسز وهو مقاول بناء والاثنان الآخران باكهام وكومب وهما مندوبان عن إحدى شركات ليفربول وهناك رجل غريب الشكل أظنه من لندن وإن بدا شديد الحذر والحيطة وهناك أشخاص مجهولين لا أعرف عنهم شيئاً وقد علمت أن الأرض تباع بأبخس الأثمان .

فقلت له مقاطعاً - لماذا ؟ وهل سمعتها السيئة هى سبب ذلك ؟ - فقال .. يبدو أنك سمعت عن منطقة الغجر فهى قصص شائعة فى الريف بسبب

حوادث السيارات وهو ما أظن أنه خطأ جسيم ارتكبه مجلس القرية الذى تجاهل وصف وتسوية هذا الطريق المنحنى .

- ولكن طبقا لمعلوماتى فإن المنطقة مشهورة بسمعة سيئة .

- كلا .. هذه خرافات روجها المزارعون والغجر ولعلمك فإن عملية البيع ستتم خلف ظهورنا وأظن أن مندوب شركة ليفربول سيحصلان عليها حيث أن ويزرى يسعى دائماً لشراء الأشياء بأرخص الأسعار ثم أن هذه الأرض شاسعة وكبيرة وتحتاج إلى إمكانيات جبارة لتنظيفها والبناء عليها .

- فقلت ... ولكن هذا لا يحدث الآن كثيرا

- فأجاب .. نعم .. نعم فهناك الضرائب والأعمال البيروقراطية إلى جانب صعوبة جلب الخدمة والعمال بسهولة إلى الريف ثم أن الناس دائما يرغبون فى شراء شقق فاخرة داخل المدن ولو كانت فى أدوار عليا بدلا من البقاء داخل القرية الريفية فقلت .. ولكنك لا تستطيع أن تبنى هنا بيتا رائعا .

- نعم أوافقك فى ذلك ولكن لا تنس أن هذا يتطلب نفقات باهظة هذا إلى جانب أن الناس بطبعها لا تميل نحو العزلة والانطواء .

- فقلت له .. كلا .. فإن بعض الناس يميلون إلى العزلة .

وضحكنا معاً وانصرفنا وانطلقت وحدى فى حيرة ووجدتنى على هدى قدماى أمشى نحو الطريق الذى يقع هناك بين أشجار الشوح القريبة من قمة التل المرتفع وقد قلت لكم أن من بين هذه الأشجار رأيت إيللى لأول مرة واقفة لجوار شجرة كانت ترتدى فستانا أخضر داكن وكان شعرها أحمر وقد بادرتها بالكلام بعد أن ظلت واقفة كعروس بحر لا تتكلم .

- إننى أعتذر فأنا لم أرغب فى تخويفك فأنا لم أكن أتوقع وجود أحد هنا فأجابت بصوت ناعم رقيق جميل كصوت طفلة بريئة .

- لتفهم ذلك .. فانا ايضا لم اكن اتوقع وجود احد غيرى هنا وطاف بصرى حول المكان الذي نقف فيه معا وانا اقول ، إنه مكان معزول فشعرت برعشة خفيفة سرت فى جسدها وظننت انه بفعل الطقس السيئ فاقتربت منها خطوة ثم قلت لها ،

- الا ترين ان هذا المكان مخيفاً بعض الشيء .. اقصد منظر البيت وهو اطلال هكذا .

- فاجابت بعد تفكير . تقصد بيت الأبراج اليس كذلك ؟ إننى لا ارى فيه اى ابراج كما يزعمون .

- فقلت لها .. هو اسم شائع ردده الناس دون تفكير منطقى ..

- فضحكت وقالت .. هل تعرف انه كان معروضاً للبيع مع الأراضى المجاورة له فى مزاد اقيم اليوم وانقضى منذ قليل .

- فقلت .. نعم وانا عائد منه الآن .

- فقالت .. اوه هل ترغب فى شراءه ؟

- فاجبت .. كلا فماذا افعل ببيت متداعى كهذا.

- فسالت .. هل اشتراه احد ..؟

- كلا .. فقد انقضى دون ان يشتريه احد لبخس الأثمان المعروضة .

- قالت .. اوه هذا امر حسن .

- فقلت .. هل ترغبين فى شراءه ..؟

- فاجابت، كلا.. كلا طبعا.

- وبدت منفعلة وهو ما دفعنى للقول .

- إذا كنت قد قلت إننى !!!اننى لا ارغب فى شراءه فهذا لأننى لا املك

مالأ وفيرا لذلك ولكن من صميم قلبى اتمنى شراءه وبداخلى إحساس يؤكد لى انه سوف يكون هذا البيت ملكى انا دون غيرى .

- ولكنه اطلال متداعية كما ترى ؟

- نعم .. اريده على حالته هذه .. فسوف اتخلص من هذا الحطام والركام .. ثم انه بيت كئيب فى جغرافيا رائعة .. انظرى معى .. انظرى من هنا تعالى معى تاملى هذه الأشجار .. هذه التلال والأراضى الشاسعة يا إلهى إنها لوحة رائعة فاتنة الحسن والجمال .

واخذتها بحنان ورقة من ذراعها ومشيت بها عدة خطوات إلى قمة اخرى وقلت لها مستطردا ، انظرى من هنا، الطريق ينحدر إلى البحر والغابات الكثيفة وإذا تخلصت من هذه الغابات وقمت بتمهيد الطريق لتمكنت من بناء بيت جميل هنا يبدو جوهرة للناظرين ببت يبنيه مهندس عبقرى .

- فقالت فى هدوء ورقة .. هل تعرف مهندساً عبقريا ..؟!

- فاجبت بسرعة .. نعم اعرف واحدا يتمتع بذكاء وعبقرية لا نظير لهما .

ثم اردفت واصفاً لها عبقرية سانتونيكس .. كنا اثناء ذلك نجلس معا فوق جذع شجرة واستطردت فى الحديث دون توقف وهى تسمعنى فى اهتمام اراحنى كثيرا حتى وجدتنى احكى لها ما يموج من صراعات فى نفسى ومشاعرى وقد انهيت حديثى معها قائلا ،

- هى احلام وامنيات اتمنى تحقيقها وانا واثق من انها لن تتحقق ولكن فكرى معى سوف نقطع هذه الأشجار وسوف نزرع بستانا جميلا بدلا منها وسياتى صديقى المهندس المعمارى ويضع رسما جميلا للبيت الذى سنقيمه فيه سوف يكون بيتا رائعاً سيظل حديث الناس إلى ان نموت ونعلمك فان المهندس سانتونيكس لا يبنى إلا القصور الفخمة فقط لأصحاب المال والذوق الرفيع .. إننى احلم وبوسعك ان تحلمى معى ايضا .

- فقالت ليلى : نعم اريد بيتاً كهذا .. إنك جعلتنى احلم به واتمناه بيتاً تطيب لنا الإقامة فيه دون ان يعكر صفونا اى شىء بعيداً عن ضوضاء المدن وضجيجها واحداثها .. لقد مللت الناس واريد ان انعزل عنهم واعيش هنا مع زوج طيب هادئ الطباع.

وهكذا بدأت قصتى مع ليلى، انا بكل ما املك من احلام وامنيات وهى بكل ما تملك من ثورة وتمرد وعصيان على اوضاعها وتوقفنا عن الكلام وتبادلنا النظرات وقد قطعت صمتنا بسؤال كنت اتوقعه منها .

- ولكن حتى الآن انا لا اعرف ما هو اسمك..؟!

- فاجبت : مايكل روجرز ولكن ما هو اسمك ياعزيزتى .

- فقالت بعد تردد فينيللا جودمان.

ولا ادرى لماذا ظهرت على وجهها علامات الضيق من سؤالى .. وعدنا مرة اخرى للسكوت والصمت نتبادل نظرات تحمل معانى الإعجاب والحيرة من امرنا .. كلانا يرغب فى تحديد موعد آخر .. كلانا يتطلع للقاء جديد ولكن من الذى سيبادر ويطلب من الذى سيجاهر ويعلن بما فى نفسه . إننا بدأنا نفكر فى الانصراف وكلانا ايضاً يرفض ان يبدأ فاللقاء جميل والحديث ممتع .. نعم فأنا الذى كنت اجيد لغة الحوار مع اى فتاة لا اعرف كيف انهى حديثى معها ثم انا لا اريد ان اختم حديثى معها وهى ايضاً لا ترغب فى ذلك ولكن شيئاً ما جذبنى لهذه الفتاة .. جعلنى اسير لها ما هو انا لا اعرف فعلاً لا اعرف .. ليتنى اعرف ..

الفصل الخامس

الواقع .. ان علاقتى بالآنسة ليلى لم تتطور بأكثر من ذلك وهذا يعود إلى الغموض والأسرار التى يحتفظ بها كلانا .. لذلك فقد رفضت الإفصاح عن شئونها الخاصة وشعرت انا بذلك من ترددها اثناء الإجابة على اسمها والعجيب ان كلانا كان يخشى ان يغور فى اعماق الآخر حرصاً على مشاعره وما يرغب فى عدم الكشف عنه لماذا .. لا نعرف ؟ لا نعرف .. حتى السؤال عن لقاء يجمعنا رفضنا ان نتطرق له.

ربما سألتها لعلى استكشف شيئاً مما يحيط بها من غموض حتى اتمكن من معرفتها كما ينبغى .. نعم انا اذكر انى سألتها قبل أن نفترق.

- هل تعيشين هنا فى هذه المنطقة ..؟

فأجابت فى تردد واضح ايضاً كعادتها .. اقيم فى ماركيت شادويل وهى كما قالت قرية صغيرة قريبة من هذا المكان .. وفى هذه القرية فندق مكون من ثلاثة طوابق وهى إحدى نزيلاته وقد بادرت بسؤالى وهى مرتبكة

- وانت يا مايكل اين تقيم ..؟

- فقلت انا لا اقيم هنا .. واعترف أن إجابتى كانت غامضة بعض الشىء وخيم الصمت علينا مرة اخرى فقطعت الصمت بعد أن سرت رياح باردة بيننا هزت الأشجار وانا اقول لها فى حنان وعذوبة .

- هل تسمحين لى بالمشى معك كى يسرى الدفء فى اجسادنا هل معك سيارة ام ستعودين بالقطار.. ؟

- فأجابت .. لقد تركت سيارتى بالقرب من القرية .

وعاد الانفعال يطل على مظاهر وجهها الجميل فقلت.

- إذن لنهبط معاً هذا المنحنى ولنقصد القرية.

أومات برأسها بالموافقة فهبطنا المنحدر معاً فى خطوات بطيئة وفى أثناء سيرنا بين الأشجار ظهر أمامنا شبح من خلف إحدى الأشجار .. آه .. لقد كانت مسز لى التى رأيتها فى اليوم السابق وقد بدا وجهها لى مخيفاً عما سبق أن رأيته حيث كانت ضفائر شعرها تتطاير على وجهها وقد قالت لنا فى حدة وخشونة - ماذا تصنعان هنا أيها العزيزان - ولماذا جئتما إلى هنا إلى أراضى الغجر؟

- فأجابت ليللى .. أوه .. هل تعدينا على أملاك أحد يا سيدتى ..؟

- فقالت لى .. نعم فهذه المنطقة ملك الغجر وأخشى أن يصيبكما شىء من لعناتهم فصدقونى لن تصيبوا فيها أى خير .

وبدت ليللى فى خجل وحرج من موقفها فقد كانت من ذلك النوع الهادئ الذى لا يميل إلى الانفعال والنقاش الحاد حيث أردفت تقول بهدوء

- إننى آسفة جداً إذا كنا قد تجاوزنا أملاك الغير فقد ظننت أن هذا المكان معروضاً للبيع اليوم .

- فأجابت مسز لى - سوف تجلب هذه الأراضى المشاكل لمن يشتريها .. ثم أنت فتاة جميلة فلماذا تقتربين من هذه المتاعب .. اسمعينى يا عزيزتى .. جمالك الفتان ليس فى حاجة إلى حوادث دموية ولعنات تصيبك فى مقتل أرجوك ابتعدى عن هنا.. واسمعى نصيحتى لك جيداً .

فقالت ليللى .. لكننا لم نصنع شيئاً هنا يحدث ضرراً لأحد.

- فتدخلت مقاطعاً حوارهما وأنا أقول فى انفعال وحدة .

- اسمعى يا مسز لى .. لا تحاولى تخويف هذه الفتاة كما صنعتى معى أمس والتفت إلى ليللى وأنا أقول بنفس الحدة إن مسز لى لها كوخ فى هذه القرية وهى تقرأ الطالع وتتنبأ كما تزعم وتدعى بالمستقبل أليس كذلك يا مسز لى ؟

فأجابت فى ثقة وكبرياء .. نعم أملك هذه الموهبة ولا داعى لأن تتهكم أو تسخر بالقول من مهنتى فقد ولدت هذه الموهبة معى فنحن نملكها جميعاً وإن لم ننتبه لها .. دعينى يا بنيتى أقرأ عليك طالعك وضعى بعضاً من الفضة فى راحة يدى لأقرأ لك حظك.

فأجابت ليللى .. لكننى لا أرغب فى ذلك ولا أؤمن به.

فردت مسز لى .. من الحكمة يا ابنتى أن تعرفى ما ينتظرك فى الأيام القادمة حتى تتجنبى المصائب والأهوال .

كنت أعرف أن أغلب الفتيات يرغبن فى معرفة الطالع وكنت أنا أعطيهن بعضاً من نقودى لقراءة الطالع فقد كنت أشعر برغبة غريبة فى ذلك . وعلى أية حال فلم تنتظر ليللى أن أمدها بالنقود فقد فتحت حقيبتها وأخرجت نصف جنيه ووضعته فى يد العجوز مسز لى وبدأت الأخيرة فى ممارسة مهام عملها . حتى صرخت صرخة مدوية وهى تقول :

- آه .. اسمعى ما سوف أنطق به يا جميلتى ..

ونزعت ليللى قفازها من يدها التى بدت فى عينى جميلة بيضاء ورقيقة وراحت مسز لى تمسك راحة يديها وهى تقول ماذا أرى الآن ؟ ماذا أرى ؟ وكعادتها ألقت يدها فجأة .. وهى تقول بعد أن احتقن وجهها

- ابتعدى عن هذا المكان يا صغيرتى .. اذهبى غادرى ولا تعودى ثانية .. لا تعودين إلى أراضى الغجر وأنا أعنى هذه المنطقة كلها ابتعدى .. ابتعدى فهذه أراضى ملعونة.

فقلت أنا فى حدة .. هذا حمق وجنون مهما كان الأمر فهذه الفتاة لا علاقة لها بهذه المنطقة فقد جاءت إلى هنا بهدف التنزه فقط ليس إلا ..

وأبدت العجوز عدم اكتراثها بما أقول وهى تصرخ .. يمكنك أن تقضى بقية عمرك سعيدة هانئة بعيداً عن هذا المكان الخطير .. اذهبى بعيداً حيث

يحبك الناس .. وتذكرى نصيحتى هذه .. وإلا .. وإلا .. فأنا أكره أن أرى ما رأيته فى يدك يحدث لك أرجوك يا ابنتى الجميلة اسمعينى جيداً وفجأة ألقت بنصف الجنيه فى وجه ليللى وهى تقول : " هذا شىء رهيب .. مخيف .. فظيع .. فظيع" .

وانصرفت عنا فى خطوات سريعة والتفتت ليللى نحوى وهى تقول :

- إنها امرأة أثارت رعبى وخوفى .

- فأجبت فى صوت قوى لا عليك يا عزيزتى إنها امرأة مجنونة حمقاء فهى تريد أن تثير فزعك .

- ولكن قل لى يا مايكل .. هل وقعت هنا حوادث كثيرة ..؟

- إن الحوادث تقع فى أى منطقة ثم إن هنا منحدر ضيق وسبب ذلك تكاسل أعضاء مجلس القرية الذين لا يتحركون لتمهيده أو حتى وضع أى علامات إرشادية لتجنب المخاطر والحوادث اليومية .

- هل المشكلة فى حوادث السيارات فقط أم أن هناك حوادث أخرى غامضة ؟ فقلت لها .. من عادة الناس أن يصدقوا كل شىء بسهولة خاصة الأساطير والخرافات وأظن أن هذه الروايات التى يرويها البعض هنا تخلو من المنطق والحكمة .

- إذن فهمت لماذا ستباع هذه الأراضى بأثمان بخسة .

- قد يكون ذلك كذلك .. ولكنك لماذا ترتجفى هكذا يا عزيزتى .

وأردفت أقول لها فى حنان الأب .. لا تخافى .. هيا بنا نسرع الخطى فى سيرنا ولكن هل ترغبين فى أن أتركك قبيل المدينة ؟

فأجابت فى سرعة غير معهودة منها .. كلا .. كلا ولماذا تريد ذلك ..؟!

فقمت بمحاولة لعلى أستطيع أن أملك مشاعرها وعواطفها .

- اسمعينى جيداً يا فينيلا سوف أكون فى قريتك غداً .. أود أن أعرف هل ستكونين هناك .. أقصد هل هناك فرصة لرؤيتك ..؟

وهنا شعرت بالخجل وعدم القدرة على الاسترسال فى الكلام بأكثر من ذلك .. وقد التفت بوجهى بعيداً عنها وأنا لا أعرف ماذا سأقول بعد ذلك فقالت هى تقطع صمتى وشرود فكرى وحيرتى

- نعم .. فأنا لن أعود إلى العاصمة لندن قبل الليل .

فقلت، إذن .. أقصد .. أعنى .. إنها لوقاحة منى

- كلا .. لماذا تصفها بذلك ؟

- حسناً .. هل تلبين دعوتى لتناول الشاى فى مقهى (الكلب الأزرق) مثلاً إنه مكان رائع رومانسى .. هادئ وجميل .. وبحثت عن كلمة أخرى فتذكرت كلمة أمى التى طالما رددتها كثيراً أمامى إنه مكان لائق يا عزيزتى .

فضحكت ليللى فى ثقة .. وهى تقول ، أنا واثقة أنه مكان لائق نعم سأحضر إليك فى تمام الساعة الرابعة والنصف هل يروق لك هذا الموعد ؟

فأجبت فرحاً .. سأنتظرك .. إننى سعيد .. سعيد جداً يا عزيزتى .

والواقع أننى لا أعرف لماذا أنا فى هذه الحالة ولماذا كل هذا السرور ؟ وها نحن قد وصلنا إلى المنحنى الأخير وقلت لها وأنا أنظر إلى البيوت المرتفعة .

- إلى اللقاء .. لنلتقى غداً .. ولا عليك مما ذكرته هذه العجوز إنها ترغب فى إرهاب الناس وتخويفهم للابتعاد عن هذه المنطقة .

- وعادت ليللى تسأل فى خوف ، ولكن هل تظن أنها صادقة فيما زعمت ؟

فاجبت .. كلا .. كلا لا اظن ذلك .

والحقيقة اننى كنت صادقا فيما اقول. فلم اكن قد رايت فيها ما يشيع الخوف فى نفسى منها كما رايت فيما بعد حيث اعتقدت انه مكانا جميلا ورائعا وهادئا، وهكذا تم لقائى الأول مع ايللى وفى اليوم التالى قصدت ماركيت شارويل وجلست فى مقهى الكلب الأزرق وسرعان ما وجدتها أمامى واحضر الساقى فنجانين من الشاى الساخن وتجاذبنا أطراف الحديث وان كنا قد تعمدنا الابتعاد عن الأسرار الخاصة التى تتعلق بنا وفجاة نظرت فى ساعتها وهى تقول :

- اوه .. إننى ينبغى ان انصرف لكى ألحق بقطار الخامسة والنصف المتوجه إلى لندن ..

- فقلت : ظننت ان بحوزتك سيارة .

فارتبكت قليلاً .. وقالت ان السيارة التى كانت معى امس لم تكن ملك لى ولم تذكر لى اسم صاحبها فاشرت إلى الساقى وأعطيته الحساب ثم عدت اقول لها :

- وهل يمكن ان اراك ثانية ..؟

فنظرت وهى تحدث فى المائدة لتقول بهدوء

- سوف ابقى فى لندن نحو أسبوعين .

فقلت .. حسناً اين .. ؟ ومتى .. ؟

وضربنا موعدا بعد ثلاثة ايام فى حديقة ريجنت والتقينا بالفعل وتناولنا طعام الغداء فى الهواء الطلق .. وترجلنا فى حديقة الملكة مارى وقد افترشت الأرض وهنا بدانا الحديث فى شئوننا الخاصة .. نعم تحدثت لنا عن سنوات الدراسة والأعمال التى مارستها او بعضها وشرحت لها كراهيتى للاستقرار وكان عجيباً ان تبدى لى سعادتها عن هذا المسلك الذى انتقده الآخرين .

ونهضت تقول لى :

- إن الأمر بيننا مختلف .. بل مختلف جدا ورائع ايضا.

- فقلت مندهشاً : مختلف ؟ عن اى شىء وماذا تقصدين؟

- اقصد انه مختلف تماماً .

- فبادرت بسؤالها .. هل انت ثرية يا عزيزتى ..؟

- نعم .. انا فتاة ثرية جدا .. ولكن مسكينة.

وراحت تتحدث عن اهلها الأثرياء واصدقائها الأغنياء الذين يفرضون صداقتهم عليها، دون معارضة منها. كما تحدثت عن فشلها فى لقاء من تحب وترغب لفرض وصاية البعض عليها، وقد ذكرت لى ان امها ماتت وهى طفلة، وان اباها قد تزوج بامراة اخرى. وهى لا تكترث كثيرا بزوجة أبيها. وانها سافرت إلى بلدان كثيرة. وقضت معظم حياتها فى أمريكا وخيل لى اننى استمع إلى قصة خيالية وقد تعجبت من فتاة مثلها تعيش كالغرباء او المضطهدين .. حيث ذكرت ان حياتها تخلو من المرح والبهجة وقلت فى دهشة .

- هل لك صديقات مخلصات، وماذا عن اصدقائك الشبان ..؟

فاجابت فى اسى وحزن : ان اسرتى تختار لى اصدقائى رغم اننى لا اميل لهم .

- هذا سجن .. منفى يا عزيزتى .

- نعم اشعر بذلك .

- ولكن اين اصدقائك المخلصين ؟

- لى صديقة تدعى جريتا .

- من هى جريتا إذن ..؟

- هى رفيقة لى جاءتنى فى البداية كوصيفة وكانت لى وصيفات كثيرات غيرها كانت هناك فتاة فرنسية عاشت معى سنة تعلمت منها اللغة الفرنسية .. ثم حلت علينا جريتا من ألمانيا فتعلمت منها الألمانية .. وهى تختلف عن الوصيفات الأخريات.

- فسألتها .. هل تحبينها حقاً ..؟

- نعم فهى تساعدنى وتدبر لى أمور حياتى إنها تعد خطط كثيرة لكى أتصرف كما أشاء وهى تجيد الكذب، وما كنت أستطيع المجىء إلى منطقة الغجر لولا كذبها ثم إنها تقيم معى فى لندن بينما تعيش زوجة أبى فى باريس وهى تكتب الخطابات باسمى إلى أبى وزوجته لكى يتأكدا أننى فى مكانى أعيش معها بينما أنا أكون فى مكان آخر فسألتها .. وما شكلها ..؟

- فأجابت.. أوه .. نعم .. جميلة شقراء طويلة القامة جريئة.

- قلت : لا أحب هذا النوع من الفتيات .

- فضحكت ليلى وهى تقول، كلا سوف تميل إليها وستحبها إننى واثقة من ذلك فهى تتمتع بذكاء خارق عجيب .

- كلا .. أنا أكره الفتيات اللاتى تتمتعن بالذكاء العجيب كما أننى لا أحب الشقراوات خصوصاً.. إننى أحب الفتيات الرقيقات ذوات الشعر الأحمر الذى يشبه أوراق الخريف .

- قالت ليلى .. هل أنت تغار من جريتا ..؟!

- فقلت : يجوز .. لأنك تحبينها كثيرا ..

- نعم أنا أحبها جدا، فهى قد أحدثت تغيير مجرى حياتى .

- إذن هى التى اقترحت عليك الذهاب إلى منطقة الغجر ؟ إنه مكان غامض لا يستحق الرؤية والتنزه فلماذا دفعتك إلى هذا المكان ..؟!

- فأجابت ليلى .. هذا سرنا الخاص (وبدت ليلى مرتبكة بعض الشىء).

- تقصدين سركما أنت وجريتا معاً .. أرجوك افصحى لى عنه

- كلا .. ينبغى أن تكون لى أسرارا خاصة .

- وهل تعلم جريتا أننا نلتقى معاً ..؟!

- إنها تعلم أننى ألتقى مع أحد الأشخاص ليس إلا فهى متأكدة أننى سعيدة .. واختفت ليلى أسبوعاً كاملاً لم أشاهدها فيه فقد عادت زوجة أبيها من باريس وبصحبة رجل تدعوه بالعم فرانك وعللت غيابها باستعدادات أسرتها لإقامة عيد ميلادها فى حفل ضخم تتحدث عنه لندن وأردفت تقول :

- لن أستطيع الخروج قبل أسبوع وبعده سوف أستطيع الخروج

- لماذا ..؟

- لأننى سأفعل ما أريد أن أفعله بعد ذلك

- فقلت .. بفضل أكاذيب جريتا كالعادة .

كنت أتعمد أن أثير ضحكها عند الحديث عن جريتا حتى قالت .

- إنك أحمق لأنك تغار منها ولئن قابلتها فسوف تميل لها وتحبها كثيرا . وسألتها عمن يكون فرانك هذا ؟ فأجابت ..

- الواقع أننى لا أعرف شيئاً عنه فيما عدا أنه قد تزوج بعمتى وهو ليس من أقربائى الحقيقيين وبعد أن ماتت عمتى وقع فى مشاكل عديدة

فسألتها فى حدة .. اهو سيئ الأخلاق والسمعة ..؟

فاجابت .. اوه .. كلا ليس كذلك ولكنه دائماً يقع فى مشكلات مالية، وقد اعتاد رجال القانون على إنقاذه قبل ان يدخل السجن.

- فقلت ، إذن هو العضو الفاسد فى اسرتك ولدى شعور يتملكنى من اننى ساستطيع التفاهم معه بشان جريتا .

- فقالت ، إنه رجل ظريف ستروق لك صحبته.

- فقلت ، ولكن هل تحبينه ..؟

- احبه ولكن اكره طريقته فى الحياة العملية وافكاره فى رسم مشروعاته، هل هو من هؤلاء الذين يجيدون رسم الخطط المستقبلية والمشروعات المالية ؟ فاجابت ليلى .. لا اعرف شيئاً عنه .. هو رجل غامض.

ولم الاحظ عليها لهفتها فى ان التقى مع اسرتها وهنا اقتحمت هذه النقطة ولنا اقول .. اسمعى جيداً يا ليلى .. هل يروق لك ان التقى مع احد من افراد اسرتك ام ان هذا لا يعنيك الآن ؟

فاجابت .. كلا .. لا ارغب فى ان تلتقى مع احد منهم .

- هل انا غير اهلاً لذلك يا ليلى ..؟

- كلا لا اقصد ذلك .. فانا اخشى إثارة متاعب لا اقدر على مجابهتها .

- ولكن موقفى غير شريف ..

- لا عليك .. فانا كبرت بما فيه الكفاية .. ويمكننى الآن أن أختار اصدقائى كما اريد دون تدخل من احد فى هذا الشأن .. صحيح لو علموا بأمرك لمنعونى من الخروج ولن اتمكن من مقابلتك فارجوك دعنا كما نحن على هذا المنوال .

- فقلت .. إذا كانت هذه رغبتك فلا مانع عندى ولكننى اخشى ان اكون مخادعاً .

- كلا .. انت لا تخدع احداً إننى احتفظ بصديق لبادله أطراف الحديث كما يحلو لى وابتسمت ابتسامة مشرقة وهى تقول .. أستطيع أن ابنى لنفسى اوهاماً، وهى اوهام جميلة رائعة لا اريد ان اتخلى عنها . نعم لقد كانت صادقة فقد بنينا اوهاماً كثيرة فى شراء منطقة الغجر وبنينا فوقها قصراً حالماً رائعاً .. وهكذا اختفت ليلى نحو اسبوعاً كاملاً وقررت شراء خاتم صغير من الفضة اقدمه لها بمناسبة عيد ميلادها بكل ما معى من نقود والحقيقة انها احبت هذا الخاتم كثيراً بل بدت لى سعيدة به وقد قالت فى فرح .. إنه رائع حقاً..

يا إلهى لقد أعجبها هذا الخاتم الحقير وهى التى تتزين بالزمرد والأحجار الكريمة كما بدت لى فى معصمها وأصابعها ثم قطعت حيرتى وهى تقول ،

- إنه اجمل هدية فى عيد ميلادها .

ثم بعثت لى برسالة تشير فيها إلى سفرها إلى الخارج مع أسرتها. وبالتحديد إلى جنوب فرنسا عقب احتفالها بعيد ميلادها.

- كتبت تقول فى صدر رسالتها الرقيقة .. لا تقلق .. ساعود بعد اسبوعين او ثلاثة حيث سنسافر إلى نيويورك وسوف التقى بك بعد عودتى لأتحدث معك فى شيء اود ان افاتحك فيه .

وساورنى القلق عليها وسرعان ما عرفت أن أرض الغجر قد تم بيعها لإحدى الشركات فى اتفاق خاص وحين سألت المحامى المسئول عن عملية إتمام البيع والشراء لماذا رفض الإفصاح عن هوية مالكها الجديد أكد لى فى غموض انه رجل اعمال كبير يبغى رفع سعرها فى المستقبل .

الفصل السادس

وإذا تحدثت معكم عن امي فهي لا تزال تعيش في بيتها الذي تقيم فيه منذ عشرين عاماً وهو كائن في شارع كئيب لا يحظى بأية سمة جمالية إطلاقاً .. كانت واجهته بيضاء اللون ورقمه ٤٦ .

وضغطت على جرس المنزل ففتحت لي امي ووقفت تتأملني طويلا أما هي فقد كانت كما هي.. طويلة القامة .. نحيفة .. صارمة .. متشككة .. إلا انها بدت رقيقة حانية وكانت دائماً على خلاف معي في أسلوب حياتي تريد ان اتغير وراحت تقول:

- اهو انت ..؟

- نعم انا يا امي ..

وتراجعت خطوات قليلة للخلف وهي تقول :

- لين كنت ..؟ منذ مدة طويلة لم أرك ..!

- ابدا .. لم افعل شيئاً جديدا

- كعادتك دائماً طبعاً .

- نعم يا امي ليس لدى جديد .

- كم حرفة زاولتها منذ ان غادرت البيت ؟

- نحو خمسة اعمال يا امي

فنظرت في اسى .. وهي تقول كم أتمنى أن تصبح رجلا يا ولدى

- انا رجل اخترت طريقي في الحياة يا أمي ..

- كلا .. ليس هناك تغير في حياتك.

- لماذا جئت يا مايكل إلى هنا ..؟

- وهل يجب أن يكون هناك سبب لمجيئى يا امى؟!

- نعم يجب أن يكون هناك سبباً معقولا .

- لا افهم لماذا ترفضين رغبتى فى رؤية ارجاء المعمورة .

- وهل الطواف معناه ان تترك مستقبلك ..؟!

-كلا .. كلا .

- لقد اتصلت الشركة بك وابلغتنى انك تركت العمل فيها .

- ماذا يريدون ..؟!

- يريدون أن تعود للعمل معهم.

- نعم يريدوننى لأننى سائق ماهر وكل العملاء يحبوننى ولكننى كنت مريضاً .

- هذا شانك وحدك .

وكان واضحاً انها لا تصدق حكاية مرضى المزعومة وقد سألتنى مرة اخرى .

- لماذا إذن لم تتصل بهم حال عودتك من لندن..؟

- لأننى التحقت بعمل اخر .

- أو نزوات جديدة وافكار وحشية ماذا عملت إذن وفى اى مجال ..؟

- اشتغلت فى محطة بنزين .. ثم ميكانيكيا ثم عمل كتابى ثم غسيل الأطباق .

- واجابت بعد شهقة .. اراك تهبط إلى الدرك الأسفل .

- كلا .. فهذا جزء من خطتى المستقبلية .

فتنهدت وهى تقول .. اترغب فى شراب شاى ام قهوة .

- فأجبت إننى ارغب فى احتساء القهوة لأننى تناولت شايا كثيرا ثم احضرت امى قطعة من الكعك واعطتنى اياها وامسكت بفنجان قهوتها وهى تقول .

- إنك تغيرت .

- انا .. ؟ كيف ..؟!

- لا اعرف ولكنك تغيرت .. ما الذى حدث لك

- لم يحدث شيء ولماذا تريدين أن يحدث لى شيء

- إنك تبدو منفعلاً .

- آه .. لقد سطوت على احد البنوك

- هذا عمل لا تقدر عليه ..

- ولماذا ..؟ إنه اسهل وسيلة للثراء .

- ولكنه عمل شاق يتطلب ذهن وجهد وانت كسول بطبعك

- هل تتصورين انك تعرفين كل شيء عنى ؟

- كلا .. ولكنى اعرف بعض الشيء عنك فانت مقدم على عمل خطير قد تكون فتاة ..اليس كذلك يا مايكل؟

- ولماذا توقعتى أن تكون فتاة ..؟

- لأننى اعتقد ان هذا امر لابد ان تتعرض له يوما ما ؟

- ولكنى التقيت مع فتيات كثيرات

- كنت تتسلى ولكنك لم تلتق مع فتاة تحبها وتجذب اهتمامك.

- إذن هل تعتقدين اننى مختلف اليوم فعلا .

- نعم يا ميكى واظن ان فى الأمر فتاة أليس كذلك .

- نعم يا امى ..

- اى نوع من الفتيات يا ميكى ؟

- النوع الذى أبحث عنه منذ زمن .

- هل ستصحبها لتقدمها لى ؟

- كـــــــلا ..

- لمــــــــاذا ..

- ليس كما تظنين ؟

- انت تخاف من ان اراها فاقول لك انها لا تصلح لك.

- ليس هذا هو السبب .

- نعم هو السبب فانت دائما تعرف اننى صائبة فى ارائى وكم جربت انت معى هذا الأمر كثيرا (أليس كذلك)؟

- فضحكت وقلت .. ليتنى استطيع ان احبها يا امى .

- إذن لماذا جئت إلى هنا ؟ لتريد اموالا كعادتك؟

- نعم أريد بعض المال .

- كلا .. هل تريده لكى تنفقه على هذه الفتاة..؟

- كلا .. إنما ارغب فى شراء ثوب جديد للزواج.

- هل ستتزوجها ..؟!

- إذا وافقت هى بذلك .

- واعتدلت امى فى جلستها وهى تقول ،

- اتمنى ان تصارحنى بالحقيقة يا ميكى لنك غامض تعشق الأسرار ولكنى اراك ارتبطت بها واخشى الا تكون قد أجسنت الاختيار .

- كيف يا امى ..؟ كيف لا احسن الاختيار ..؟

- وانصرفت منزعجاً لمغادرة البيت وقد اغلقت الباب خلفى فى عصبية وعنف وانا اتمتم ببعض الكلمات الحادة الخشنة .

الفصل السابع

"ارجو انتظارى غدا فى الخامسة والنصف فى المكان المعتاد لنا" .. كان هذا نص برقية وجدتها فى مسكنى عليها خاتم بريد جزر الأنتيب .

وذهبت للموعد المحدد والتقيت مع ليللى التى كانت تتحدث بأسلوب يختلف عما سبق لها أن تحدثت به معى فادركت من فورى أن شيئاً ما قد حدث فقد التقينا معاً كالغرباء ولا أدرى لماذا ارتبكنا فمن ناحيتى قررت مفاتحتها فى أمر زواجى منها ولكن كنت مترددا شأنى فى ذلك شأن كل شاب مقبل على الزواج .

اما هى فكما قلت كانت غريبة فى حديثها حتى ظننت أنها بقدر الإمكان تحاول فض علاقتنا بحيث لا تسبب لى حرجا يؤذى مشاعرى .

ولكنى سرعان ما طردت هذه الهواجس والخواطر فأنا على يقينى من حبها لى ولكن لماذا أثارت حيرتى بتصرفاتها الغريبة؟

آه .. قبل أن أنسى فإن ليللى كانت تكبرنى بعام واحد وهنا فى تقديرى لا يستدعى كل هذه المتغيرات .

على أية حال راح الصمت بيننا تنقطع أوصاله وحباله ثم قالت:

- مايكل .. لقد شاهدت القصر الجميل الذى حدثتنى عنه كثيرا هل تذكره ..؟ إنه القصر الذى بناه صديقك المهندس العبقرى .

-من ..؟ تقصدين سانتونيكس ..؟!

- نعم .. ذهبنا إليه وتناولنا فيه طعام الغذاء.

- كيف ؟ هل تعرفين صاحبه ؟

- تقصد ديمترى قسطنطين ؟ أنت لا تعرفه معرفة قوية ولكن جريتا هى التى رتبت هذه الزيارة الجميلة .

- فقلت وقد تضايقت مما سمعت .

- جريتا .. تاني ..

- لقد قلت لك انها فتاة جريئة ورائعة .

- هذا اكيد ولكن من كان معكما .

- زوجة ابى والعم فرانك ايضا .

- هل كانت حفلة خاصة بكم فقط وهل كانت جريتا معكم ؟

- كلا لم تحضر معنا فإن كورا زوجة ابى لا تروق لجريتا إطلاقا .

- ربما لأنها فتاة من اسرة فقيرة .. مجرد خادمة.. او وصيفة .

- كلا فهى ليست وصيفة .

- لا تبالغين يا ايللى وتتواضعين فهى وصيفة وخادمة ومربية وسكرتيرة .

- لا عليك دع جريتا وشأنها .. المهم اننى حين شاهدت القصر الذى بناه صديقك تمنيت ان يكون لنا قصرا مثله .

وهكذا باحت لى ايللى بما فى مكنونها نحوى فهى تقول (لنا) ثم اردفت تقول .

- لقد طلبت من جريتا تدبير طريقة لزيارة هذا القصر فى الريفيرا لشاهدته لكن ابنى واحدا مثله كى يحقق لنا احلامنا التى رسمناها معا .

- فقلت فرحا وانا اتماسك من الفرحة .

- انا مسرور من إعجابك به .

- وانت يا مايكل .. ماذا صنعت ؟

- انا .. اوه .. انا .. انا راهنت على جواد فى سباق الخيل ودفعت جنيها وربحت ثلاثين فكما ترين فانا محظوظ يا عزيزتى .

- فقالت ايللى وهى تبتسم .. انا سعيدة جدا لأنك ربحت .

- قالت ذلك دون اهتمام حيث ان المبلغ الذى ربحته لا يمثل لها شيئا وإن كان بالنسبة لى يمثل ثروة هائلة .. هكذا نحن معشر الفقراء ثم عدت اقول بعد لحظات من الصمت الرهيب .

- اه .. على فكرة يا ايللى لقد ذهبت إلى والدتى .

- حسنا .. لقد تذكرت لماذا لم تحدثنى عنها كثيرا يا مايكل؟

- فقلت فى حدة .. ولماذا ترغبين فى أن اتحدث عنها ..؟

- فأجابت .. الا تحبها يا مايكل ..

فسكت فترة ثم أجبت فى حيرة .

- لا اعرف .. احيانا اشعر بالحب نحوها واحيانا أخرى لا أحس بذلك وعلى اي حال فلا يمكن لى أن اتخلى عنها.

- فقالت ايللى .. ارى انك تحبها كما يبدو لى .

- ربما .. ولكن امى تعرفنى جيدا اقصد تعرف نقاط الضعف بداخلى .

- هذا طبيعى وانت يا مايكل فى حاجة لشخص يعرفك تمام المعرفة

- ماذا تقصدين بقولك يا ايللى ؟

- هناك مثل بريطانى شهير يقول : الخادم لا تخف عليه اسرار سيده. وشكسبير يقول انه الخادم الوحيد فى الدنيا الذى يرى الملك عاريا على غير عادته امام شعبه واعتقد اننا فى حاجة إلى خادم يستمع الى خبايانا وعيوبنا فيصلحها .

- اعتقد ان لك آراء غريبة يا إيللى .

وامسكت يدها وانا اقول لها بصوت خافت .

- هل انت تعرفين كل شيء عنى يا إيللى ؟

فاجابت فى ثقة .. اعتقد اننى اعرفك جيدا .

- ولكن انا لم اتحدث بالكثير عن نفسى يا إيللى فكيف إذن تقولين ذلك ..؟

- رغم كثرة صمتك معى فانا أعرف اى نوع انت من البشر .

- كيف ؟ انا لا اظن انك تعرفيننى تمام المعرفة .. ثم هل تتهميننى بالحماقة إذا انا قلت لك اننى احبك وهو اعتراف متاخر .. نعم اعرف انك لاحظتى ذلك منذ اول لقاء جمعنا معاً اليس كذلك.

- المهم الآن ان نعرف ماذا سنصنع فالأمر ليس سهلاً او ليناً يا إيللى فإننى من اسرة فقيرة وامى تقيم فى بيت يختلف تماماً عن بيتكم ومجتمعنا ادنى من مجتمعكم فكيف يا إيللى سنصنع مستقبلنا؟ كانت إيللى صامتة وتنظر إلى الأرض وهى تفكر ثم قالت بغير تردد.

- هل تسمح لى بلقاء والدتك ..؟

- نعم هذا امر طيب ولكن ما الذى ستضيفه هذه الزيارة إلى علاقتنا، اظن انها ستضيف اعباء نفسية على كاهلك فانا كما قلت من اسرة فقيرة واصدقائى من الصعاليك على غير اهلك واصدقائك إنها مشكلة صعبة ومعقدة، فانا جاهل فقير وانت مثقفة وثرية فماذا اصنع ؟

- فاجابت إيللى : اسمع يا مايكل سنعيش معاً فى بيت الأحلام بيت الأبراج فى اراضى الغجر سنعيش معاً وسوف يبنيه صديقك المهندس المعمارى سانتونيكس ولكن لى شرط واحد هو ان نتزوج اولاً واظن ان هذا هو ما تتطلع إليه.

- اجبت .. نعم .. وهذا اقصى ما اتمناه .. هذا اذا كان شعورك نحوى كشعورى نحوك .

- فقالت : إذن سنتزوج الأسبوع القادم فقد بلغت الآن سن الرشد .

- بوسعى ان اصنع ما اشاء واظنك على حق فى مخاوفك وشكوكك بالنسبة للأهل والمهم الا تذكر شيئاً لأمك وانا ايضاً لن اذكر شيئاً لأهلى حتى نضعهم امام امر بات محتوماً لا مناص منه.

- فقلت .. هذا رائع .. رائع يا إيللى ولكن هناك شيئاً يجب أن أحدثك عنه فإن اراضى الغجر قد تم بيعها .

فاجابت .. أعرف انها بيعت وانا التى اشتريتها يامايكل .

قالت ذلك وهى تضحك ضحكة عالية، ترن بين أشجار الحديقة .

الفصل الثامن

اثناء هذا الحديث الذى دار بينى وبين ليللى ونحن نفترش كالعادة اعشاب الحديقة كانت هناك اسر تجلس بجوارنا يرصدون انفاسنا ويترقبون همساتنا ويطاردون نظراتنا ويتاملون سكوتنا ولكننا لم ننتبه لهم فقد كنا كالطيور السابحة فى فضاء الكون نحلق بأجنحتنا على الدنيا .. بل كنا .. كالزهور والورود المتفتحة التى تشع عبيرا اخاذا كنا كعاشقين حفظ التاريخ قصتهما .. كنا حالمين .. كنا نهيم معا ونتغنى ونرقص باجنحة القلوب .. كنا نضحك فى الأعماق وإذا تلامست ايادينا اقشعرت ابداننا واحمرت وجوهنا .

وامام هذه الصور الجميلة نهضت ليللى وهى تقول ،

- اسمع يا مايكل عندى اشياء يجب أن اعترف لك بها .

- لا .. لا اود ان اسمع شيئاً حتى لو كانت لك علاقات جنسية فى الماضى او عاطفية فانا سعيد ولا اود سماع اى شئ ثم إننى لا ابالى بما تخفيه عنى .

- مايكل .. ارجوك تسمعنى فانا لم تكن لى علاقات عاطفية أو جنسية إطلاقاً ولكن اود ان اوضح لك بعض ما لا تعرفه عنى .. انا يا مايكل أرسلت بعض المحامين لشراء الأرض وانا لا امتلك ثمنها حيث لم تتوافر معى الاموال لأننى لم اكن قد بلغت بعد سن الرشد وإننى لم اقل لك اننى قد ورثت عن جدى ثروة طائلة لا حد لها حيث كان يعمل فى حقول البترول قد تزوج كثيرا ولكن زوجاته توفين جميعاً ولم يبقى له غيرى انا وأبى فقد قتل ولديه الآخرين فالأول مات فى كوريا والآخر مات فى حادث سيارة وهكذا ورث ابى ثروة طائلة وحين مات فجأة ورثت انا كل شيء وقد منح زوجته قبل وفاته ثروة لا بأس بها لذلك فهى لم ترث فيه بعد وفاته فورثت انا كل ثروته لذلك فانا من اغنى سيدات امريكا يا مايكل .

فاجبت قائلا .. يا إلهي ما هذا إنني لم أكن أعرف كل هذه المعلومات لذلك فقد أخفيت عنك اسمي الحقيقي حين قلت لك أن اسم عائلتي هو جودمان ولكن الاسم الحقيقي جيوتمان ولعلك تذكر ذلك :

- فقلت ، نعم .. نعم أذكر شيئا من هذا القبيل .

- فقالت .. ولهذا أخفيت عنك حقيقتي وتحاشيت الخوض فيها معك .. هل تعرف يا مايكل أنني قبل بلوغي سن الرشد كانت زوجة أبي والعم فرانك قد جندوا بعض الحراسة والمخبرين السريين لملاحقتي أينما كنت لدراسة أحوال أي إنسان أتعرف عليه وهل يتواءم مع مركزي الاجتماعي أم لا ؟ لقد كنت أعيش في سجن مكون من أربعة جدران .. سجن رهيب .. كئيب والآن .. الآن صرت حرة .. أصبحت طليقة أفعل ما في وسعي دون أن اكترث بشأن أحد ..

- فقلت لها .. أحب فيك تواضعك وعفويتك رغم ثرائك الرهيب .

- فأجابت .. وأنا أيضا أحب فيك أنك تعيش طبيعيا طبقا لظروفك دون ملل أو تتطلع لأموال أحد غيرك .

- فقلت .. الخلاف الوحيد بيننا إنك تدفعين ضرائب باهظة أما أنا فلا أدفع ضرائب البتة فمن أين لي .. ها .. ها .. ها.. ها .

- قالت ليلي .. سيكون لنا بيتا جميلا .. في أراضي الغجر .

وهنا أحسست برعشة دبت في يدها فقلت لها .

- حبيبتي ليلي .. هل تشعرين بالبرد القارص

- فأجابت وهي تنظر للشمس .. كلا .

فقد كانت الشمس ساطعة وأشعتها تغمر المكان الذي نفترشه .. لكنها تذكرت المرأة الغجرية التي قرأت لها طالعها .. فقلت لها :

- لا عليك .. إنها امرأة مجنونة .. لا تفكري في أمرها .

- هل تظن أنها صادقة فيما روته عن لعنة الغجر في هذه المنطقة

- لا أظن .. إنها أساطير من صنع الغجر اعتادوا عليها .

- ولكن هل لديك معلومات عن الغجر يا مايك ؟

أجبت صادقاً .. كلا .. لا أعرف عنهم شيئاً وإذا كنت تتخوفين منها فلماذا لا نبني لنا بيتا في الريفيرا أو أسبانيا أو أحد تلال إيطاليا وسوف يبنيه لنا صديقي المعماري سانتونيكس.

- فقالت .. كلا .. أريد بيتا هنا .. فقد رأيتك أول مرة ويكفيني أن أتذكر دائماً وقوفك أمامي وقد تسمرت قدمك وتعلقت عيونك على عيني وحملقت فيها .

فأنا لن أنس هذا أبدا .

- قلت .. وأنا أيضاً يا ليلي لن أنس هذه اللحظة ما حييت .

- فقالت .. لهذا فسوف نبني بيتاً هنا .. وسيبنيه لنا صديقك سانتونيكس فقلت وأنا في اضطراب .. أتمنى أن يكون على قيد الحياة .. فقد كان مريضاً جدا حين لقيته آخر مرة .

- لا عليك .. اطمئن .. إنه على قيد الحياة .. فقد ذهبت لزيارته .

- تقولين .. ذهبت لزيارته .

- نعم حين سافرت إلى جنوب فرنسا، وكان نزيل إحدى المصحات الطبية .

- ليلي .. أنت تثيري دهشتي دائماً في تصرفاتك .

- إنه رجل عبقري لكنه مخيف يا مايكل .

- هل شعرت بالخوف منه .. ؟

- نعم لقد اخافنى كثيرا لسبب ما .

- هل تحدثتى معه عن قصتنا ؟

- نعم قلت له كل شىء عنا .. وعن أراضى الغجر وعن البيت الذى تريد ان يبنيه لنا فى أراضى الغجر وتمنى ان يسترد عافيته لرؤية المكان ووضع الرسومات الهندسية له وقد تاق لبناءه قبل ان يموت واخبرته اننى اتمنى ان يعيش حتى يرانى انا وانت ننتقل إليه .

- وماذا قال عقب سماعه ذلك ؟

- سالنى عن صدق نيتى فى الزواج منك فاجبته بالإيجاب طبعاً .

- حسنـــــــا .. ؟

- قال إنه يتعجب إذا كنت انت على علم بذلك..؟

- إننى اعرف تماماً ماذا اصنع .

- قالت إيللى .. لقد اختتم المهندس حديثه معى وهو يقول ، "اخشى عليك يا إيللى من تغيرات مايكل فهو مازال صغير السن لا يقوى على البقاء والاستمرار فى مكان واحد ثابت .. نعم اخاف عليك من هذا الولد الشقى الصغير" فقلت لا عليك سوف يكون مايكل فى امان إلى اخر العمر .

كانت هى واثقة من نفسها وكنت انا متضايق من صديقى سانتونيكس فهو مثل أمى .

وهنا قاطعت إيللى شرود ذهنى وهى تقول ؛

- لقد بدا العمال يرفعون انقاض البيت القديم وراحت تتكلم بأسلوب رجال الأعمال .. حيث اردفت تقول:

- سيكون العمل شاقاً جدا بمجرد انتهاء المهندس من رسوماته وعلينا ان نسبق الزمن .. هكذا قال لى صديقك سانتونيكس ثم هل توافق على أن نتزوج يوم الثلاثاء القادم ؟ إننى أحب هذا اليوم يا مايكل .

- قلت .. هل سيوجد احد غيرنا هناك .

- فقالت .. ستكون معنا جريتا فقط .

- فصرخت فى وجهها .. فلتذهب جريتا إلى الجحيم .. إنها يجب الا تحضر زواجنا ويمكن لنا استدعاء اية شهود من اى مكان . والحقيقة أن هذا اليوم كان هو اجمل ايام حياتى على الإطلاق .

الفصل التاسع

هكذا تزوجنا انا وليلى فى هدوء وسكينة وكان ذلك جزء من الخطة التى رسمناها معاً كى نحقق احلامنا التى تحدثنا فيها معاً .. وعشنا مثل اى زوجين سعيدين سافرنا إلى كل انحاء الدنيا إلى اسبانيا وايطاليا والمانيا وسويسرا والنرويج احياناً بالطائرات واحياناً بالسيارات وفى الغالب بالسفن او اليخوت كنا فى نشوة لا نظير لها وراحت تتحدث بلهجة جديدة عن زوجة ابيها التى تزوجت كثيرا من شباب صغير السن، كانوا يتطلعون إلى ثروتها الطائلة، ثم تحدثت عن جريتا الوصيفة الألمانية وذكائها الخارق فى تدبير امورها واعمالها ثم حدثتنى عما سنتعرض له من مضايقات من أهلها اذا اخبروا بامر زواجنا وقلت لها ماذا سيفعلون بنا ؟

- فاجابت .. سيشتروك منى ؟

- فقلت ، كيف ..؟!

- فقالت ، بمئات الآلاف من الجنيهات حسبما يروق لك أن تبيعنى قالت ذلك وهى تضحك وشعرت بالإهانة فاحست بذلك وقد قالت : لا عليك يا مايكل فانا اعرف كم تحبنى ولكن الأمور دائما تتغير وقد حدث أن امرأة مشهورة كانت تسمى بملكة البترول قد تزوجت من شاب صغير كان يعمل حارساً فى إحدى شركاتها ثم راح يطلب منها اموالا طائلة نظير طلاقه منها .. هل سمعت عن هذه الرواية ..؟!

- نعم سمعت ولكن هل تظنيننى مثل هذا الشاب؟

فضحكت وهى تقول .. لا عليك يا مايكل .. إننا نتحدث دون أن نعنى ما نقول وعادت تقول المهم الآن اننا يجب ان نتفرغ لإنهاء بناء بيتنا الذى نعيش فيه بعد ذلك اعنى اراضى الغجر يا مايكل .

- فقلت .. إننى اتوق لذلك فقد كرهت رؤية الناس اننى أود أن أكون

معك بمفردنا بعيداً عن الفنادق والناس وارغب الا يشاركني احد العيش معك.

- فقالت ، نعم سوف يكون بيتاً لنا فقط .

- فقلت ، وانا اتمنى ذلك .

- قالت ، ولكن جريتا فقط هي التي ستظل معنا .

- فقلت ، جريتا .. جريتا .. لماذا ستظل جريتا معنا لماذا ..؟!

- فقالت .. جريتا إنسانة رائعة وانت لم تلتق بها بعد وسوف تروق لك معرفتها وهي قادرة على تدمير كل امورنا خاصة إذا علم اهلنا بأمر زواجنا فهي الوحيدة القادرة على إخراجنا من هذا المأزق.

- قلت ، ولكنهم سينتقمون منا .

- فاجابت .. كلا إنها تعرف كيف تتخلص من تلك الأزمات دون ان تتعرض لشيء يعكر صفوها ثم لا تنس انها معي منذ اربعة سنوات وهي المسئولة عن إعداد كل شيء في حياتي.

- ولكن اريد ان نظل معاً دون ان يزعجنا احد .

- تأكد يا مايكل أن جريتا لن تسبب اى إزعاج وسوف تميل لها .

- لا اظن انني سأميل لها إطلاقاً .

- لا تنس انها تعمل معي وانها ستواجه مشكلات إذا انا تخليت عنها وتركنا هذا الموضوع المستفز لنتفرغ لعبارات الحب والهيام والإعجاب التي لم تنته.

ولكن ما اثار حيرتي هي حياة الأثرياء الباهظة فقد كنا ننفق في كل مكان دون حساب وهنا شعرت أن الأغنياء لا يعرفون كيف يقضي الفقراء يومهم بل إن الفقراء التعساء ايضاً لا يفهمون كيف ينفق هؤلاء

للاعبين اموالهم بسهولة ويسر لقد انفقنا اموالاً طائلة لم اكتسبها في حياتي انفقناها في عدة ايام يا إلهي ما هذا البذخ ؟ ما هذا الثراء الرهيب ؟!

وفي إحدى رحلاتنا التقينا مع سانتونيكس في اليونان كان يعيش في كوخ صغير يملكه احد الصيادين وكان قريباً من البحر وافزعني هذا الكوخ الكئيب وكان هو مريضاً جداً وقد بادر بالقول وهو يسعل .

- إذن تم زواجكما ..؟!

- فاجابت ايللي .. نعم وسنعيش في البيت الذي ستبنيه لنا .. اليس كذلك ..؟

ثم التفت نحوي وهو يقول بصعوبة ،

- الرسومات معي هنا .. إنها اخبرتك اليس كذلك ؟

- لقد قالت لك كيف بحثت عني وأصدرت أوامرها بالعمل .

- فتدخلت ايللي .. لكنها لم تكن اوامر بل كانت مجرد توسلات .

- قلت، هل اخبرتك اننا اشترينا المكان ؟

- فاجاب .. نعم لقد اخبرتني وارفقت لي بنحو عشر صور .

- فتدخلت ايللي ثانية .. يجب عليك ان ترى المكان بنفسك فمن يدري لعله لا يروق لك .

- فاجاب .. ولكني رايته يا فتاتي .. فقد خرجت من قصري المنيف وقابلني احد رجالك القانونيين وهو رجل سمين أعتقد انه إنجليزي .

- تقصد مستر كراوفورد ؟

- نعم والواقع اننا بدانا الإجراءات الأولية في البناء .. اقصد تمهيد الأرض ورفع الأنقاض ووضع الأساس والبنية الأولية الأساسية وسوف أزوركما في لندن عقب عودتكما إلى هناك .

- واخرج من حقيبته رسومات البيت التى صممها بالألوان المائيـة كما صمم التركيبات الهندسية وكل ما له بها صلة وقد سالنى .

- هل يروق لك ذلك يا مايكل ..؟

- فقلت بعد تفكير عميق .. نعم هذا ما أردت أن أعيش فيه.

- لقد تحدثت عنه كثيرا يا مايكل حتى عرفت ماذا تريد .. لاحظت منذ عام ان هذا البيت يحركك ويتملكك .. وكنت تتمنى أن ترفع قواعده. كان حلماً كبيراً عسير المنال ولكنه تحقق يا فتاى العزيز .

- فقالت ليللى .. ولكنه سيبنى الآن .. أليس كذلك ؟

- فاجاب .. هذا أمر يعود إلى صحتى وما يريده الله لا أحد غيره .

- فسألته .. هل صحتك فى تحسن يا سيدى ..؟

- الحقيقة ان صحتى ليست فى تحسن كما ترى .

- دعك من هذا يا ستونبكس إن العلاج موجود ولا تكترث بكلام الأطباء اللاعبين قساة القلوب.

- إننى معجب بتفاؤلك يا مايكل ولكن صحتى تتدهور كل يوم عن سابقه .

- فقالت ليللى ، أنت رجل شجاع

- كلا .. لست شجاعاً .. ثم ما دور الشجاعة أمام الموت ؟

- وغادرنا المكان بعد أن اقرعنا المهندس بنصائح سخيفة عن معنى الحياة والأموال وقد ظهر لى يأسه من الحياة .. وكراهيته للناس وللدنيا حيث باح بانه من السهل عليه وهو يعرف أنه سيموت بعد شهور قليلة أنه يتمنى أن يقتل بعض الناس وحين اخبرته انه سيحاكم وسوف يكون سجينا ما تبقى له من عمر. فاجاب فى حدة يسجوننى كم شهر أننى من الممكن أن

اموت بعد ستة شهور واحقق ما اود ان احققه . كان مخيفا مرعبا وما فى شك ان هذا الخوف قد انتقل بدوره إلى اوصال ليللى التى تملكتها رعشة رهيبة .. وهى تقول اثناء عودتنا بالسيارة ..

- الم اقل لك اننى اخاف من هذا الرجل .

- فقلت .. ولماذا تخافين منه ؟

- قالت .. ألم تسمع ما قاله ؟ إنه يرغب فى ممارسة القتل.

- لا عليك فهو فى حالة حرجة وقد اصابته لوثة .

- اخشى يا مايكل .. اخشى ان يذبحنا انا وانت.

- ولماذا سيفعل بنا ذلك .. انت تثيرى خوفى يا ليللى .

- تخيل يا مايكل لو ان هذا الرجل قد فرغ من بناء البيت ثم دخل معنا واغلق ابوابه التى يعرفها جيدا ثم ذبحنا .

- فقلت .. وانا اشعر بالخوف مما تقول ،

- اوه .. إنها لعنة الفجر التى اصابت ظنونك وخيالاتك يا ليللى .

- كلا .. بل اشعر انها حقيقة .. حقيقة يا مايكل .

الفصل العاشر

اثناء تجوالنا بالسيارة فى شوارع العاصمة اثينا وامام أحد الفنادق الفخمة الشهيرة اندفعت إحدى السيدات نحو ليللى وقد احتضنتها وصافحتها وتبادلا معاً أطراف الحديث السريع كانت هذه السيدة ضمن أحد الأفواج السياحية وارادت ان تختتم حديثها للحاق بالفوج الذى بدأ يختفى من أمام عينيها .. ولكن سمعت من حديثها بعض الكلمات التى تعبر عن الدهشة من هذا اللقاء العجيب والذى جاء على هذا النحو .

- اوه .. يا إلهى انت ؟ لم اكن اتخيل هذا ليللى جيوتمان؟ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ حقاً إنها مفاجاة ؟ هل جئت ضمن فوج سياحى؟

- فأجابت ليلى كلا جئت هنا منذ أيام بمفردى.

- انا سعيدة لرؤياك يا ليللى وماذا عن صحة كورا ؟ هل هى معك هنا؟

- هى بخير .. ولكنها الآن فى سالزبورج .

- حسناً .. حسناً ..

وفجأة كأن هذه المرأة قد انتبهت لوجودى فقد رمقتنى بنظرات تساؤل ودهشة حتى ان ليللى قد فهمت على الفور مغزى هذه النظرات فقالت لها ،

- آه .. نسيت ان اقدم لك مستر روجرز وهذه مسز بنجتون. وسألتنى هذه السيدة فى كلمات سريعة رشيقة.

- كيف حالك يا مستر روجرز ؟ هل ستبقين هنا بضعة أيام أخرى ؟

- ولم اشأ ان اجيب فلم تترك فرصة للإجابة التى كانت من نصيب ليللى التى قالت لها .. كلا .. كلا إننى راحلة غداً .

- اود .. عفوا يا ليللى يجب ان اتركك الآن حتى لا افقد الفوج الذى ارافقه .. كم كنت اتمنى ان التقى بك هنا مرة ثانية لتناول الشراب .

- ولنا ايضاً كنت ارغب فى ذلك ولكن ضيق الوقت يحول دون إتمام لقائنا واستأذنت السيدة فى الانصراف وانطلقت كالسهم نحو الفوج السياحى وهبطنا درجات سلم الفندق بعد انا كنا قد صعدنا عليه عدة درجات وقد قالت ليللى .

- حسناً .. هذا اللقاء سوف يحسم الأمر .

- اى امر تقصدين يا ليللى .

- لا عليك .. فانا افكر الآن فى ان اكتب خطاباً الليلة إلى كورا وللعم فرانك وللعم اندرو ايضاً .

- سمعت عن كورا وفرانك ومن يكون إذن العم اندرو هذا الذى لم اسمع عنه؟

- هو اندرو ليبنكوت .. والحقيقة انه ليس عمى لكنه الوصى على تركتى او المحامى المسئول عن إدارة املاكى لحين بلوغى سن الرشد وهو محامى مشهور بل من اشهر المحامين على الإطلاق .

- وماذا ستقولين لهم فى خطابك ؟

- سأقول لهم الحقيقة .. حقيقة زواجى منك الم تلاحظ اننى انكرت صفتك كزوج امام مسز بنجتون وهو ما اللى حقيقة.

- ولماذا لم تخبريها اننى زوجك يا ليللى ..؟!

- كان عسيرا على نفسي ان اخبرها قبل ان يعلم اهلى بذلك وإلا كانت فضيحة مدوية تصيبهم فى مقتل خاصة إذا علموا بامر زواجى من احد غيرى والمفروض ان يعرفوا بحقيقة الأمر منى اولا ثم إننا قضينا وقتا طويلا ممتعا ولنستعد للمعركة القادمة .

- ولماذا تتوقعين انها ستكون معركة ..؟

- بالطبع يا مايكل فإنهم سوف يثورون ويندون ويفتعلون المشاكل معى ولكن تأكد اننى لا اعبأ بأمرهم وإن كنت أظن انهم سيتظاهرون بالحكمة حتى نلتقى معهم فى نيويورك فهل انت مستعد لهذا اللقاء ؟

- كلا .. انا لا اميل إلى عقد هذا اللقاء المشحون بالتوتر .

- إذن ينبغى ان ادعوهم للمجىء إلى لندن للقائك.

- كلا .. فانا لا اريد ان التقى باحد منهم .

- سنعود إلى إنجلترا وسوف نلتقى بهم ولا تعبأ بهذا اللقاء يا مايكل .

- اعبا بماذا ؟ تقصدين افراد اسرتك ..؟

- نعم وأرجو منك الا تهتم بما سيقولونه لك .

- يبدو ان هذه هى ضريبة زواجى منك فاطمئنى فسوف اتحلى بالصبر ثم قالت ليللى بعد فترة من الصمت الذى خيم علينا .

- ثم لا تنس ان والدتك هناك ويجب ان التقى بها.

- استحلفك بالله يا ليللى الا تفكرى فى هذا اللقاء معها فأين هى من امك .. فامى فقيرة وامك ثرية .. لن تستطيع امى ان تتحدث معها فى اى شان فلا داعى لأن تسببى لها حرجاً لا تقوى على مجابهته.

- مايكل .. إن كورا ليست امى ولكنها زوجة ابى وبالتالى فلا ضرر من هذا اللقاء .. ثم ارجو الا تزعجك الفوارق الطبقية بيننا يا مايكل .

- فقلت بعد ان تضايقت من العبارة الأخيرة .

- انا.. ؟ لا اعرف ماذا اقول هل عندك مصطلح امريكى للرد على هذا الكلام إننى حتى الآن لا اعرف اى الملابس ارتديها عند كل مناسبة .. كما لا ادرى كيف اتصرف داخل هذه المجتمعات .

- لماذا لا يروق لك لقائى مع أمك .

- دعى أمى وشانها فهى تختلف تماماً عن أسرتك ارجوك يا ليللى .

- كلا .. إننى يجب أن أزورها عند عودتنا إلى بريطانيا .

- فصرخت اقول .. كلا .. كلا .. لن يتم هذا اللقاء ..

- ولم لا .. إنها وقاحة منى إذا لم أزورها يامايكل ماذا ستقول هى عنى ؟

- أنا لم اخبرها بأمر زواجى .

- لماذا ترفض أن تخبرها يا مايكل ..؟

فسكت ورفضت أن أجيب عن سؤالها وقد عادت تقول :

- أليس من الأفضل أن تخبرها بشأن زواجى منك وان تعدها بلقائى معها .

- كلا .. كلا ..

وتمالكت ليللى أعصابها بينما كنت أبدو هائجاً فقالت مرة أخرى :

- لماذا لا ترغب فى إتمام هذا اللقاء ..؟!

ولم أعرف كيف أفسر لها موقفى من هذا الأمر السخيف حتى قلت :

- إن أمى سوف تسىء معاملتك وستجلب لك المتاعب ولا داعى لذلك فهمت .. قالت تقصد أنها لن تميل إلى ؟

- كلا .. فمن يراك يجب أن يشعر بالميل والحب نحوك وهذا لا أخشاه ولكن أخاف أن تقسو فى معاملتها نحوك فينبغى الا تنسى أنى تزوجتك دون أن أخبرها بذلك وهى من الجيل القديم الذى لا يقبل ذلك بل ولا يصفح أبداً عن هذا الخطأ .

- فى ظنى أن هذا الأسلوب فى الوقت الحاضر قد عفا عليه الزمان

- أنت واهمة يا ليللى .

- نعم .. هذا صحيح ولكن ترفض والدتك ذلك إذا أنت ارتبطت بفتاة فقيرة لا تشد أزرك أو تساعدك على أعباء الحياة .

- تقصدين أننى فزت بامرأة غنية لذلك لن تعترض .

- نعم يامايكل .. فالمال هو الذى يثير إعجاب كل الناس واحترامهم ولا يبحثون عن مشروعيته ومصدره.

- وأنا أوافقك فى ذلك يا ليللى فهذا ما أؤمن به فعلاً . ولكن على أية حال لا داعى لزيارة أمى .

- ولكننى أرى أنه أمر سخيف ألا أذهب لزيارتها .

- كلا .. أنا أعرف أمى أكثر منك إنها غليظة وعنيفة.

- ولماذا لا تخبرها بأمر زواجنا ..؟

- لك ما تريدين .. سوف أبعث لها بخطاب عاجل بهذا الشأن . وبالفعل فقد بعثت بخطاب لأمى جاء فيه :

"أمى العزيزة .. أعرف أننى كنت وقحاً فى عدم إبلاغك عما قمت به منذ ثلاثة أسابيع .. لقد تزوجت يا أمى وقد حدث ذلك فجأة وعروستى فتاة جميلة جداً وعلى جانب واسع من الثراء ورقيقة إلى أبعد مما تتخيلين وسوف نعود إلى لندن لبناء بيت فى الريف ولكننا الآن فى أوروبا لقضاء شهر العسل .. تمنياتى لك بالسعادة والصحة .. ابنك المخلص مايكل".

وكانت مفاجأة لى بحق أن أتلقى خطاباً من والدتى رداً على رسالتى إليها وكتبت تقول: "عزيزى مايكل .. أسعدنى خطابك.. أتمنى لك موفور السعادة .. أمك التى تحبك دائماً" . وسرعان ما تلاشت سعادتى بهذه الرسالة

الرفيقة التى لم اكن اتوقعها فقد انقلبت الدنيا على كاهلى انا وايللى حيث بدأت الصحف البريطانية كعادتها فى سرد قصة زواجنا الأسطورية وبدأت التقارير الصحفية الكاذبة تتحدث عنا باشياء غريبة لم تحدث كلها تشير إلى الأميرة الهاربة التى هى زوجتى مع شاب صعلوك هو انا وهذه هى عادة الصحفيين الإنجليز اللاعبين الذين يعشقون سرد القصص الخيالية للتهية لتوزيع صحفهم ولكن لم نعبأ بذلك فقد كان شغلنا الشاغل هو امر أسرة ايللى الذى نخشى منه وعلى الفور حال عودتنا إلى لندن التقى بنا العم اندرو لينتكوت الوصى على ايللى وقد كان رجلاً طويل القامة خشن الطباع .. وسيم يتحدث بإنجليزية طليقة يتحلى بالرقى عند حديثه مع ايللى عرفت انه من مواليد بوسطن الأمريكية، ولاحظت ان ايللى كانت منفعلة بعض الشىء وإن تظاهرت بالتماسك امامى وبدا الرجل فى حديثه الراقى وهو يخاطب ايللى :

- ما هذا يا ايللى .. إنك اكثر من رائعة بل انت قد ازددت جمالاً وبهاء .

- كيف حالك يا عمى ؟ وكيف جئت إلى هنا؟

- جئت إلى هنا بالباخرة كوين مارى وكانت رحلة جميلة رائعة اهذا هو زوجك يا ايللى .

- نعم يا عمى .. هذا هو مايكل روجرز زوجى .

ونهضت من مكانى لأرحب به وانا اقول .. اهلاً بك يا سيدى .. كيف حالك ..؟

ثم سألته هل يرغب فى شراب شيئا ما إلا انه رفض وراح يجلس فى مكان قريب منا وزاغ بصره علينا طويلاً وهو يقول :

- الا تعرفان .. انكما تسببتما فى مشكلات عديدة لنا جميعاً .

فاجابت ايللى .. اشعر بذلك وانا فى خجل واتأسف لكم يا عمى .

فقال اندرو ، اتشعرين بالأسف حقاً .. ؟

- نعم الا تشعر انت بذلك يا عمى .. ؟

- انا لا اوافق على هذا الأسلوب يا ايللى ..

- ولكنك تعرف اى اسلوب آخر كان يمنعنى من تحقيق رغبتى وسوف يعارضون إتمام زواجى من مايكل .

- ولماذا كانوا سيعترضون ..؟

- انت تعرفهم جيدا يا عمى بل انت ايضا كنت ستقف ضدى

- لقد وصلنى خطابان من كورا منذ أن عرفت الأمر .

- ثورة كورا امر متوقع وهذا طبيعى فى مثل هذه الأحوال

- ولكننى حرة .. فيما اصنع اتزوج ممن اشاء وارفض من اشاء .

- هذا رأيك .. ولكن ذلك ليس من السلوك القويم لأى فتاة يبدو انى سببت متاعب لكم بالفعل .

- نعم هذا صحيح . ولقد ساعدك فى ذلك شخص كنا نثق فيه .

- اعرف من تقصد ولكننى قد بلغت سن الرشد

- لا تنس أن الخدعة بدأت قبل بلوغك سن الرشد .

- فتدخلت وقلت ، لا ينبغى أن تلوم ايللى يامستر أندرو فانا أجهل كل شىء عن معيشتها وحياتها أثناء تلك الفترة التى أشرت إليها حيث كان جميع افراد أسرتها خارج لندن وتعذر علىّ الاتصال بهم فاجاب أندرو .. لقد خدعتنا جريتا التى أرسلت بخطابات مزودة بمعلومات خاطئة لتضليل كورا رضوخا لأوامر ايللى، وهل التقيت مع جريتا يامايكل..؟!

- كلا .. لم التق بها إطلاقا .

- فنظر مندهشا .. كيف وقد كنت أظن أنها حضرت مراسم زواجكما .

- فقالت ليللى : نعم لم تكن حاضرة معنا .

- وحدق مستر أندرو بعينيه فى وجهى حتى أننى شعرت بالارتباك وقال بعد لحظات .. أظن أن عليكما أن تتحملا توبيخ الأسرة بصبر وهدوء فأجابت ليللى .. أتوقع أن صاعقة ستحل علينا من جانبهم .

- فقال أندرو .. هذا أمر وارد ولكننى قد هيأت لكما الأمر وأوضحت الصورة فأجابت ليللى .. إذن أنت فى صفنا يا عمى .. ؟

- فقال الرجل .. من الصعب على رجل فى سنى أن يعترض على أمر واقع خاصة إذا كان نتاج قصة حب ملتهبة، وقد علمت أنك اشتريت قطعة أرض فى جنوب إنجلترا وإنك سترفعين عليها قصرا فارها ..

- فقلت : نعم إننا نريد أن نقيم فى بريطانيا فهل هناك اعتراض لذلك أن ليللى قد تزوجتنى وبزواجها اكتسبت الجنسية الإنجليزية ولا يوجد ما يمنع وجودها معى فى إنجلترا .

- فأجاب : نعم ليس هناك مانع إطلاقا .. فهى تستطيع أن تختار ما يروق لها كما يجب أن يكون لها بيت فى كل دولة .. ثم ألا تعرفين يا ليللى أن لك بيتاً فى ناسوكما ..؟

- كلا أنا أعرف أنه ملك لكورا .

- أنت صاحبته شرعياً بل ولديك بيت آخر فى لورنج أيلاند .. بل وتملكين عددا كبيرا من حقول البترول فى الغرب .

كنت أشعر أن أندرو يريد أن يفهمنى حقيقة ثرائها الفاحش من أجل أن يسيل لعابى وإلا لماذا راح يسرد كل ممتلكاتها أمامى عامدا . قد يظن أننى ساعى للحصول على النفقة كما يفعل غيرى لا أعرف ثم إننى لست واثقاً

من نواياه فربما كان يريد أن يثير أعصابى كرجل فقير طامع فى ثروة زوجته .. ربما أراد ذلك .

ونهض من مقعده ومعه حزمة أوراق ومستندات قانونية وهو يقترب من مقعد ليللى وهو يقول كل هذه الأوراق يجب أن ندرسها معا للتوقيع عليها .. فأجابت ليللى .

- نعم .. فى أى وقت تحب يا سيدى ..؟

- لا داعى للتسرع .. فأنا فى أجازة هنا لمدة عشرة أيام .

- فتضايقت .. عشرة أيام سيظل هذا الرجل يلاحقنا يا إلهى .. ثم أنه لم يظهر إعجابه بشخصى وقد بدا لى خصماً إلا إذا كان من الرجال الذين لا يظهرون إعجابهم لأحد وأثناء شرودى سمعته يقول لليللى ..

- والآن بعد أن تفاهمنا على خطواتنا القادمة يجب أن تحدث مع زوجك .

- فقالت ليللى : يمكن أن تتحدث معه هنا .

- ولاحظت أنها منفعلة على غير عادتها وقلت لها مطمئنا .

- لا عليك .. لا تخافى يا ليللى .. لست صغيرا هكذا يا حبيبتى ..

- ورافقتها إلى غرفة نومها .. وأنا أقول لها بصوت خافض .

- إن العم أندرو يريد أن يتحقق من صدق نيتى فى الزواج منك ليجمع رأياً عاماً حول شخصى وأظن أن هذا حقه .

وقفزت إلى فراشها قلقة وعدت أنا إلى غرفة الضيوف الفسيحة لأجلس على مقعد أمام أندرو لأصغى لأسئلته المنتظرة وقد بدأت قائلا

- تفضل .. يا سيدى أنا كلى آذان صاغية .

- فقال فى ادب .. اشكرك يا مايكل .. قبل ان اتحدث عليك الا تظن اننى خصماً لك كما ظننت .

- قلت .. اشكرك ويسعدنى سماع ذلك .

- فقال .. دعنى اكون صريحاً معك .. وقد تكون صراحتى معك باكثر من صراحتى مع هذه الفتاة الرقيقة التى تفيض بالطيبة والحنان والرقة.

- اطمئن يا سيدى فانا ايضاً احبها مثلك وربما اكثر .

- نعم اعرف ذلك ولكنى ينبغى ان تعرف انها سريعة العواطف والتأثر .

- إنها رائعة يا مستر اندرو وانا ساعرف كيف ساتعامل معها .

- ليس هذا ما قصدته .. إنما كنت اتمنى ان تتزوج هذه الفتاة باختيار من خلال اسرتها ومن نفس مركزها الاجتماعى .

- فقلت .. فهمت تقصد شاباً نبيلاً .

- كلا .. ليس هذا فقط .. بل من نفس طبقتها ومن نفس مستواها الثقافى والاجتماعى ويكون جديراً ومع ذلك عليك ان تعرف ان جدها بدا حياته عتالاً فى الجمرك ثم مات وهو اغنى رجال العالم .

- فقلت : ربما استطيع ان اسلك منهجه وقد اصير فيما بعد اغنى اغنياء بريطانيا .

- كل شىء جائز إذا توافر لديك هذا الطموح .

- لا اقصد المال يا مستر اندرو بل اقصد اشياء اخرى .. اقصد ..

وتوقفت عن الكلام بدون سبب حتى بادرنى قائلاً :

- جميل منك ان تكون طموحاً .. هذا امر حسن.

- إننى بدأت بداية غريبة .. من قاع السلم وكنت نكرة لا امثل شيئا .

- حسناً يا مايكل .. احب فيك صراحتك ووضوحك فانت تعلم اننى مسئول عن ثروة ليلى التى حملنى إياها جدها قبل ان يموت لهذا فانا حريص على سماع الشخص الذى تزوجته واعتقد ان هذا لا يزعجك .

- نعم هذا حقك .. بل يمكنك ان تتحرى عنى لتعرف كل شىء .

- سافعل ذلك فهو إجراء طبيعى وإن كنت ارغب فى سماعك فانا احب ان استمع إلى كل ما فى حياتك .

والحق اننى شعرت بالضيق فإذا تحدثت عن نفسى فسوف اذكر كل ما فى نفسى من خصال المروءة والخير وهذه صفة لازمتنى منذ صغرى .

فهل افعل كما يفعل نجوم المجتمع فى إظهار تواضعهم وحياتهم العسيرة وكيف بلغوا قمة المجد والشهرة ام اذكر له طبيعة أعمالى التى اشتغلت بها ام احكى له قصصى الغرامية مع فتيات لندن لاتفاخر بها أم اذكر له كوامن الشر فى داخلى ام ابرز النقاط المضيئة التى تشع فى عقلى وقلبى ؟ أعتقد ان هذا خيراً لى وقد انجح فى كسب ثقته ولكن بعد تردد ذكرت له الحقيقة وبدأت بما هو شائن فى حياتى فقلت له.. كان والدى عربيداً مخموراً من شراب الكحوليات ووالدتى امراة مكافحة فى الحياة قامت على تربيتى وتعليمى واننى ذقت الجوع والمرار والعذاب بسبب كراهيتى للاستقرار فى اى عمل دائم . كان اندرو هذا يسمع ويدون ملاحظاته ثم يعود فيسأل فى دهاء وذكاء لعلى اقع فى الفخ الذى دبره لى والحقيقة اننى كنت فى غاية الحذر والحيطة منه ونجحت فى إفشال مخططه ثم راح يقول لى :

- إنك كما سمعت تعشق المغامرات يا مايكل .. حدثنى إذن عن قصة البيت الذى تنوى بناءه مع ليلى .

- إنه يقع بالقرب عن مدينة تسمى ماركيت شادويل .

- اعرفها .. وقد ذهبت لرؤيته امس فقط .. وعرفت انه رجل غريب الأطوار يعشق هو ايضاً ممارسة دور رجال الشرطة وقد قلت له فى اقتضاب.

- انه مكان جميل .. وسوف يكون بيتاً رائعاً سيبنيه لنا المهندس العبقرى سانتونيكس فقاطعنى اندرو وهو يقول ، اعرفه انه مهندس مشهور جدا .

- هل بنى قصورا فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟

- نعم وهو مهندس عبقرى ولكن المشكلة ان صحته ليست على ما يرام.

- نعم وهو يظن انه اوشك على الموت وقد أخبره الأطباء بذلك وإن كنت لتوقع له مزيداً من العمر الطويل .

- اتمنى أن يكون تفاؤلك فى محله .

- وانا فعلاً اتمنى له موفور الصحة والعافية .

- على اية حال فهى صفقة رائعة إنها اراضى جميلة يا روجرز وقد تشاورت مع مستر ادفورد بشأنها،

- فقلت متعجباً .. مستر ادفورد ؟

- نعم .. المستشار بمكتب ريس وكرافورد للاستشارات القضائية والقانونية وهو الذى عقد الصفقة وهو للعلم محامى مشهور وقد أكد لى انه اشتراها بثمن ضئيل وحين سألته عن سبب بخس ثمنها ارتبك بعض الشيء فهل عندك جواب لهذا الارتباك يا مايكل ؟

- فقلت : يقال إن هناك لعنة تطارد هذه الأراضى المملوكة للغجر .

- فاعتدل فى مقعده وهو يقول .. عفواً يا مايكل .. ماذا تقصد ؟

- يقولون إن هناك لعنة تطارد كل من يزور هذا المكان أو ينوى الإقامة فيه وهى لعنة معروفة باسم لعنة الغجر .

- هل هناك قصص مؤكدة تتعلق بها .. ؟

- نعم هناك قصة رجل أطلق النار على زوجته وعلى رجل اخر وهناك حوادث قتل كثيرة تقع فى هذا المكان إلى جانب حوادث السيارات الكثيرة .

- اظن انها قصة من مأثورات الريف الإنجليزى الشهيرة ولكن لماذا لم تخف انت وإيللى من هذه الخرافات ؟

- نحن لا نصدق هذه الأساطير والخرافات .. فقد سعدنا بشراء هذه الأراضى بهذا الثمن .

- وانا مثلكما لا أعتقد فى هذه الخرافات وسوف يكون بيتكما جميلاً ورائعاً .

- ولكن اتمنى الا يترامى إلى مسامع إيللى كل هذه الأساطير .

- سأحرص من جانبى على ذلك .

- ارجو ذلك فإن إيللى ليست قوية الأعصاب مثلك. وانتقل الحديث بنا إلى موضوع آخر وبدأ اندرو القول وهو ينقر بأصابعه على المائدة القريبة منه.

- والآن سأنتقل بك إلى موضوع شاق .. انت تقول إنك لم تلتق مع جريتا اندرسون .

- نعم لم التق بها كما سبق وأن ذكرت لك .

- اليس هذا غريباً .. بل وغريباً جداً ؟

- ولماذا يبدو ذلك غريباً ..؟

- ظننت انك تعرفها .. فماذا إذن تعرف عنها ؟

- كل ما اعرفه عنها انها قضت وقتا طويلاً مع إيللى كوصيفة لها .

- قد لا تعرف انها جاءت وإيللى عمرها ١٧ عاماً فقط للجلوس معها ومرافقتها حال غياب زوجة ابيها عن المنزل وهى فتاة من عائلة طيبة معها شهادات ممتازة بدات عملها معنا فى امريكا وهى نصف المانية ونصف سويدية وقد احبتها إيللى كثيرا .

- فقلت .. هذا ما لاحظته جيدا يا سيدى .

- هل لاحظت ان إيللى متعلقة بها جدا وهل اشارك هذا الأمر ؟

- كلا ولماذا يثيرنى ذلك .. صحيح اننى كنت متضايقاً فى اول الأمر ثم بعد ذلك شعرت ان الأمر لا يستحق هذا الأسى والألم فهذا لا يعنينى فى شىء.

- ومع هذا فقد رفضت ان تلتقى انت مع جريتا..؟

- كلا .. فقد اقترحت ذلك اكثر من مرة وقد انشغلنا بعيدا عن هذا الموضوع .

- هل اقترحت إيللى ان تحضر جريتا زواجكما ؟

- نعم اقترحت ذلك .

- ولماذا لم تحضر جريتا إذن حفل زواجكما..؟

- لا اعرف سبب ذلك وإن كنت سررت لعدم حضورها فانا اشعر انها تتصرف فى كل شىء وتلعب كل الحيل والخدع بمباركة من إيللى لهذا كنت سعيدا لعدم حضورها فقد شعرت انها تزاحمنى فى حب إيللى .

- إننى افهم .. افهم ما تقصد يا مايكل .. وانت فى ذلك على حق فقلت فى دهاء .. اظن انك ايضاً لا تميل إلى جريتا يا سيدى .

- لا ادرى كيف تقول "انت ايضاً" مع انك تزعم انك لم تلتق بها من قبل .

- قلت لك إننى لم التق بها من قبل .. ولكن تمكنت من تكوين صورة لها من كثرة ما سمعت عنها على لسان إيللى . وقد تكون هذه غيرة منى ولكن لماذا لا تحبها انت ؟

- لأن جريتا تسيطر على إيللى وهى امراة كما تبدو لى تعتز بنفسها ولها نفوذ غير مرغوب فيه.

- هل تتوقع انها ستعمل على نسف العلاقة بيننا .

- لا ادرى ولا يحق لى ان اخوض فى مثل هذه المسائل . وراح ينظر لى فى دهاء الثعلب يتظاهر بالنوم وهو يقظ متاهب ليقول .

- هل اقترحت إيللى عليك ان تعيش جريتا معكما ؟

- هذا اقتراح مرفوض لن يحدث إطلاقا .

- إذن اقترحت إيللى عليك ذلك؟

- قد تاتى للإقامة معنا وقتا قصيرا فى بداية تاثيث بيتنا ثم سترحل بعدها .

- المشكلة ليست فى بقائها معكما ولكن فى هؤلاء الذين كانوا يثقون فيها وخانت ثقتهم.

- هل تقصد انكما ستطردونها ولن تعطوها اى شهادة للحاق بوظيفة اخرى !

- لن يحدث ذلك إلا من خلال إطار قانونى .

- وهل تتصور انها ستاتى إلى انجلترا للإقامة معنا؟

- لا احب ان اتحدث فى شىء لا اعرفه .. ولكن الذى اتوقعه ان زوجتك رقيقة القلب ولن ترض على تشريدها وتحطيم مستقبلها .

لا اتوقع ان تتمسك ليللى بها ولكن قد تمنحها معاشا يكفيها .

ولا تنس انها شابة جميلة .. فاتنة .

- ولماذا لم تتزوج حتى الآن ما دامت جميلة كما تقول .

- المفروض ان تفعل ذلك كما ان المفروض ان تمنحها ليللى معاشا يكفيها عرفانا بالجميل .

لا مانع فى ان تفعل ليللى ذلك .

- ولكن هل تتصور يا مايكل ان جريتا ستوافق على ذلك ..؟!

- ولماذا ترفض ..؟

- اظن ان جريتا ستقبل الصداقة مع ليللى ولن تضحى بها من اجل معاش ضئيل .

- هل تتوقع ... ؟!

اتمنى الا تفعل ذلك حتى تتحرر ليللى من قيودها .. ونهض مستر اندرو وهو يقول .. ارجو منك مساعدتى فى التخلص منها .

انا ايضا اتمنى التخلص من وجودها معنا .

- اخشى ان تغير رأيك إذا وقع بصرك عليها

لا اعتقد فانا اكره المراة الذكية المتسلطة مهما بلغت درجات جمالها وانوثتها

- شكرا لك يا مايكل على هذا الإصغاء الطويل وارجو ان تقبل دعوتى لحضور تناول العشاء معى انت وزوجتك يوم الثلاثاء القادم ربما تحضر كورا و فرانك وستويفيزانت اثناء العشاء .

- ارغب فى مقابلتهم .

- هذا امر لابد من إتمامه .

وابتسم ابتسامة صادقة تخلو من الخبث والدهاء واستطرد يقول :

- يجب الا تخاف منهم حتى لو اغلظت كورا القول معك وكذلك ان فعل فرانك اما روبن فقد يتغيب عن الحضور .

- لا اعرف من يكون روبن هذا هل هو قريب ليللى ؟ لا اعرف .

- ومشيت نحو غرفة ليللى وانا اقول لها انهضى ياليللى لقد انتهى التحقيق وجاءت ليللى وهى تنظر إلينا ثم اتجهت نحو اندرو وقبلته على وجنتيه قائلة .

- ايها العم اندرو .. هل راق لك مايكل .

- نعم يا عزيزتى .. ولكنكما فى حاجة إلى نصائحى وخدماتى فى المستقبل لأنكما صغيران .

- نعم .. وسوف نصغى إليك فى اهتمام وصبر بالغ .

- والآن اسمح لى ان اتحدث معك قليلاً يا ليللى .

- فقلت : إذن حان دورى الآن للخروج ومضيت إلى المخدع بعد ان اغلقت الباب فى حرص شديد بحيث لا يكون إغلاقا كاملاً فانا اود ان استرق السمع حتى أعرف هل هذا الرجل ذو وجهين ام لا ؟ وسمعت انه حدثها بشان جريتا ومعاشها وزيادة مخصصات كورا فأجابت بالإيجاب الا انه عاد وقال لها لا داعى لزيادة مخصصات كورا فيكفيها امتيازاتها التى تتمتع بها من ازواجها

السابقين ومن ثروة جدك ثم إنه لا يوجد قانون يدعوك إلى زيادة مخصصاتها ولكن يمكنك ان تعطيها معاشا إضافيا تستطيعين تجميده متى تشائين إذا استمرت هى فى تغليظ القول وإشاعة الفوضى فى حياتك مع مايكل. وقد اجابت ليللى . اعرف ان كورا تحقد علىّ دائما ثم سألته فى خجل .. هل احببت مايك يا عمى ؟ فقال لها إنه شاب وسيم جذاب وأستطيع ان افهم سبب زواجك منه . والحق ان اندرو كان مجاملاً وكريماً معى وهم الرجل بالانصراف ونادت ليللى بأعلى صوتها لأودع ضيفنا وسرعان ما اقبل احد الخدم .حاملاً برقية تسلمتها ليللى فصرخت فى سعادة .

- اوه .. إنها جريتا قادمة إلى لندن الليلة وستحضر هنا غدا .. ما أجمل ذلك ..

وكان مستر اندرو مازال واقفاً معنا، ولاحظت الوجوم باديا على وجهينا وقد سمع احدنا يقول .. هو ذلك بينما الآخر قال بالطبع .

الفصل الحادى عشر

فى اليوم التالى نهضت من فراشى مبكرا لشراء بعض الحاجيات وتركت ليللى مستغرقة فى النوم وعدت عند الظهيرة لأجد جريتا تجلس مع ليللى إنها فتاة جميلة كما قال لى اندرو ومليحة كما قالت ليللى لكنها اجمل مما وصفوها فهى ممشوقة القوام ذات عيون زرقاء واسعة جذابة وشعر اصفر تكوم على راسها ورشاقة تثير شهية الرجال إنها بالفعل تجمع بين جمال بنات السويد وانوثة الألمانيات .. إنها بحق فاتنة .. رائعة واقتربت منهما وهما يتبادلان اطراف الحديث الهامس بينهما وقد نهضت ليللى وهى تقول:

- اخيرا يا مايكل .. ها هى جريتا اقدمها لك .

- انا سعيد لرؤياك يا جريتا (قلت ذلك وانا احاول إخفاء ضيقى من وجودها) .

- وقالت ليللى .. لعلك تعرف أن لولا دورها الخطير لما تم زواجنا اطلاقا

- فقلت .. بل كان سيحدث بأساليب أخرى .

- كلا لم تكن ستتمكن من التصرف بدونها .

والتفتت نحو جريتا وهى تقول فى لهفة ..

- ها اخبرينى بربك .. ماذا فعلوا بك هل طردوك ؟ هل حقدوا عليك ؟..

- نعم حدث ذلك وقد طردونى بتهمة خيانة الأمانة ولم يعطونى شهادة خبرة تساعدنى للالتحاق بعمل اخر . ولكنى سعيدة بما فعلت

- ولكن ماذا تصنعين الآن ..؟

- وجدت عملاً سوف ألتحق به فى لندن كسكرتيرة .

- ولكن هل أنت بصحة جيدة وسعيدة؟

- وكيف لا وقد ارسلت لى شيكاً عوضنى عن فقدان وظيفتى .. لقد سافرت كثيرا وطفت ارجاء العالم وعقدت العزم على الاستقرار فى لندن واشتريت اشياء كثيرة .

- فقالت ليللى .. ونحن ايضا اشترينا الكثير منها انا ومايك .

- وبالفعل فقد اشترينا اشياء كثيرة من باريس واثينا وروما اشترينا اقمشة ولوحات فنية رائعة وتحف غالية لقد اشتريت ما كنت اتمنى شراءه وقالت جريتا .. الاحظ سعادتكما معاً اليس كذلك .

- لم تشاهدى بيتنا بعد إنه سيكون جوهرة إنه سيحقق احلامنا اليس كذلك يا مايكل ..؟!

- نعم، فقالت جريتا .. لقد شاهدته عقب نزولى هنا فى لندن .

- قالت ليللى ، حسناً

- وقالت جريتا .. إنه بيت رائع وصممه مهندس عبقرى عجيب .

- فقلت .. حقاً إنه رجل عبقرى وعجيب بالفعل .

- فقالت جريتا .. نعم لكنه مخيف .. مخيف جدا .

- قلت مستغرباً ، مخيف ؟ وكيف ذلك ..؟!

- قالت .. يبدو انه مريض .

- قلت .. نعم هو بالفعل كذلك .

- قالت .. من اى داء يشكو؟

- قلت ، يشكو من مرض السل .

- قالت .. كلا إنه يشكو من مرض فى دمه كما أظن ولكن متى سينتهى البناء ..؟

- قلت .. قريبا .. قريباً جدا .

- فقالت .. اوه .. إنه المال الذى يستطيع ان ينهى كل شىء فى اسرع وقت .

- ما اجمل ان يملك الإنسان مالا يحقق به احلامه .

اما انا فكنت اقدر المال وقوة سطوته خاصة واننى تعلمت الكثير من ليللى واكتسبت الكثير من زواجى منها فقد اختلفت حياتى حقا اختلافا جذرياً لقد كنت فقيرا فقرا معدما وليللى ثرية ثراء فاحش عاشت فى بذخ وترف . ولكن الله قد حقق كل احلامى هاهى امراة جميلة وقصر منيف سيكون حديث الناس جميعاً. وهاانذا اصبحت لا أخاف من اسرة ليللى وشردت بخاطرى كثيرا فى الرحلات التى قمت بها مع زوجتى والمقتنيات التى اشتريناها معاً والمدن التى زرناها سويا كنت غارقا فى خيالاتى وذكرياتى .. ويبدو أن شرودى قد لفت انتباه ليللى وقطعت ليللى حبل افكارى وهى تصرخ .

- اوه إنه يفكر فى بيتنا .

كانت تريد لفت انتباهى إلى التوجه لحجرة الطعام لتناول العشاء. كان الوقت ليلاً وقمنا بتغيير ملابسنا وفجاة قالت ليللى .

- مايك .. هل تحب جريتا ..؟

- فاجبت .. طبعاً .. طبعاً يا ليللى .

- كنت ساتضايق لو لم تحبها يا مايك .

- ولماذا كنت تظنين اننى اكرهها .

- لست واثقة ولكن لاحظت ذلك فى نظراتك إليها .

- ربما لاحظت ذلك فقد كنت منفعلا .

- منفعل من جريتا ..؟!

- نعم فهى توحى إلى بالخوف والرهبة كالهة الأساطير الاسكندنافية .

- لكنها نحيفة وليست مترهلة مثلهن .

- إنها تتكلف وتتصنع كثيرا فى كلامها وملابسها والواقع اننى لا اميل إليها .

- فاجابت فى غضب .. اوه يا مايك .. إن لدى ذكريات كثيرة معها ثم إنها مالت إليك واحبتك ايضاً واعترفت لى بذلك .

- اسمعى يا إيللى .. كان ينبغى عليها الا تقول ذلك لك .

- كلا .. إنها كالعادة صريحة دائما معى .

وتذكرت حديث اندرو عن جريتا ونفوذها الطاغى على إيللى ولكن الحقيقة انها كانت رقيقة معى إلى اقصى حد، ولم تكن متصنعة كما قلت بل على العكس كانت بسيطة وواقعية ولكن مشاعرى الدفينة فى كراهيتها لم تبارحنى قط، والحق انها ساعدتنى كثيرا فى الزواج من إيللى ولولاها ما كان قد تم ابدا ولكن شخصيتها الطاغية وضعف شخصية إيللى يثير حنقى وحفيظتى .

كانت جريتا تقف اثناء ذلك فى شرفة الفندق الذى نقيم فيه ولم يترام إلى مسامعها حديثى مع إيللى، ثم جاءت وجلست معنا لتتناول ثمار التفاح وقلت امامها - موجهاً حديثى لإيللى .

- لقد شعرت ان مستر اندرو قد تقبل امر زواجنا .

- فقالت جريتا .. إنه رجل عجوز ولكنه ثعلب .

- فتدخلت إيللى .. إنك تقولين ذلك دائماً عنه رغم انه رجل ظريف ومخلص فقالت جريتا .. هذا رايك وانت حرة فيما تعتقدين .

- إذن انت لا تثقين فيه .

- اجابت جريتا .. نعم .. رغم انه يتحلى بالوقار والاحترام ومنظره يدعو للثقة .

فقاطعتها إيللى وهى تضحك .

- هل تقصدين انه غير امين على ثروتى ؟ لا تكونى سخيفة يا جريتا هناك حشد من الاف الموظفين يتولى هو تدبير شئونهم .

فقالت جريتا .. ربما يكون اميناً لكن اظن انه من هؤلاء الذين يختلسون إذا لاحت لهم الفرصة .. وقد يظن الناس بهم خيرا ثم يفاجاون بأمره المشين . فقالت إيللى .. قد ينطبق هذا الكلام على العم فرانك فهو من هذا النوع الذى يختلس بالفعل ولا يرفض الإقدام على ذلك .

فاجابت جريتا معلقة .. اوه .. إنه اشبه باللصوص والنصابين لكنه يحمل قلب طفل ولا يستطيع ان يفعل ذلك ابدا رغم مظهره الحقير فسالت إيللى بدورى مقاطعاً كلامها مع جريتا .

- اهو شقيق ابيك يا إيللى .

- فقالت .. إنه زوج عمتى وهجرته وتزوجت بغيره وماتت منذ سبع سنوات وظل هو على علاقته بنا منذ زواجه منها .

وتدخلت جريتا تقول وكانها ارادت مساعدة إيللى فى حديثها انهم ثلاثة .. من الطفيليين المتعلقين بالأسرة .. كان لإيللى عمان مات احدهما فى حادث والآخر قتل فى كوريا اما الثلاثة الطفيليين فهم كورا وفرانك وابن الخال روبين ثم هناك اندرو وستانفورد لويد .

فسألتها مندهشا .. من يكون إذن ستانفورد هذا؟

فأجابت جريتا .. إنه وصى آخر أليس هذا صحيح يا ليلى .

ثم إنه يقوم باستثمار أموالها التى تنمو وتنمو وتتضخم دون تدخل منها لتحمل أعباء ومشقة ومكابرة هذه الأعمال المرهقة .

- فقالت ليلى ، لا عليك بأمرهم .. فسوف تلتقى بهم جميعا عما قريب ولكن لا تهتم بهم فسوف يرحلون على الفور ولن يقيموا معنا إطلاقا .

الفصل الثانى عشر

وتوافد الجميع علينا فى جناح الفندق الذى نقطن فيه لحين انتهاء أعمال البناء فى بيتنا الجديد.. كانوا يتكلمون بطلاقة بعضهم تظاهر بالرقة وبعضهم تمسك بالتقاليد البالية التى عفى عليها الزمن .

فها هو العم فرانك الذى بدا لى رجلاً سميناً ضخماً مترهلاً مهملاً فى مظهره بعض الشىء وإن دلت تجاعيد وجهه على أنه رجل سكير عاشق نساء وقد أمنت بما روته عنه جريتا التى تمكنت من تحليل شخصيته بدقة وأمانة ويا له من رجل أحمق فقد بادر بطلب قرض مالى من أول لقاء جمعنى معه ولم أكن أعرف هل أقرضه وأتظاهر بالكرم والجود والعطاء واللامبالاة بالنقود و الأموال أم أرفض إقراضه متظاهرا بالبخل والتقطير اللعنة عليك يا فرانك أيها الأحمق العربيد، أما السيدة كورا زوجة والد زوجتى ليلى فقد لفتت انتباهى إليها حيث بدت امرأة قوية تتصرف وكأنها مارى انطوانيت وهى تبلغ من العمر الأربعين عاماً جميلة الوجه ممشوقة القوام تتحدث برقة وعذوبة فتاة مراهقة احمرت وجنتاها من الخجل وقد سمعتها تقول لزوجتى .

- لقد سبب زواجك صدمة لنا جميعاً وأعرف أن جريتا هى التى تقف وراءه وقالت لها زوجتى - لا داعى لتقريع جريتا فهى بريئة وأنا المسئول عما حدث .

- حسناً .. ولكن أنت لا تعرفين ثورة الغضب التى اجتاحت رجال الأعمال خاصة ستانفورد لويد واندرو لبينكوت وقد أحسوا بإهمالهم لك وهو ما دفعك للتصرف على هذا النحو الأحمق وإن كنت أرى أنهم لم يعرفوا بعد مدى وسامة زوجك ولطفه وظرفه وذكاءه .

وألقت كورا نظرة عابرة نحوى مصحوبة بابتسامة زينت بها وجهها والواقع أنها كانت ابتسامة مليئة بالنفاق والتملق وتعبر عن حقد دفين